# المشرق

نابغة السريان

## القديس افرام الملفان

لله الشكر والحمد لقد تحقّقت امانينا التي طالما وطّدنا الامل في الحصول عليها. انبأتنا اخبار رومية بانّ القديس افرام السرياني الملقّب في الكنائس الشرقيّة بصنّاجة الروح القدس قد اقيم على منارة الكنيسة جمعاء فنظمهُ الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر في عداد معلّمي البيعة واعلن بهِ ملفاناً تكرمهُ الكنيسة الكاثوليكيّة في كلّ الانحاء بهذه الصفة وتقيم لذكرهِ عيدًا كأعياد الحائزين على تلك الرتبة

وقد زاد شرف القديس بـأنّ بطاركة الشرق الاجلّاء من موارنة وسريان وملكيين وكلدان وارمن اغتنموا فرصة وجودهم في عاصمة الكثلكة ليرفعوا الى مقام قداسة ابي المؤمنين عريضةً التمسوا فيها بان يُعلن رسميًّا مار افرام السرياني كملفان للكنيسة الجامعة الغربيّة والشرقيّة

فوقع طلبهم لدى الحبر الرومانيّ احسن موقع ورأى قداستهُ في تلبية دعوتهم نهزةً جديدة لبيان انعطافهِ نحو الطوائف الشرقيّة. ومن ثمّ تقدّم الى مجمع الطقوس والى بعض العلماء الاختصاصيين بان يفحصوا اعمال القديس افرام فحصاً مدقّقاً ويتحقّقوا انطباقها تماماً مع تعاليم الكنيسة واهليّتها لتُجعَل دستوراً يرجع اليهِ المؤمنون في عقائد الدين وقاعدة الآداب. فقاموا بهذه المهمّة القيام الحسن بحيث تمكّن رئيس الكنيسة بالمناداة به رسميًّا كملفان ومعلّم للبيعة الكاثوليكيّة كلّها وامر بان تفرز لهُ الكنيسة اللاتينيّة طقساً خصوصيًّا في ٢٧ تموز المنصرم

فلم نرَ بدًّا من تسطير مقالة في المشرق نجمع فيها الخواصّ المميّزة لذلك الملفان

العظيم الذي استقت من موارده العذبة كنائس الشرق على اختلاف طوائفه وكانت تعاليمه كافية لأن تنكب بالكنائس السريانيَّة — لو ثبتت على اتباعها — عن سبيل الضلال . وعليه سنبيّن تباعاً على وجه الاختصار صفات القديس افرام كرجل ثم كسيحي وناسك ثم كمجاهد ثم كملفان واخيراً كشاعر .

## ١ الرجل

قد اجمع علماء التاريخ الكنسي على انَّ القرن الرابع الميلاد كان من ازهى واشرف قرون النصرانيَّة . فيه خرجت بيعة الله ظافرة من جور قياصرة رومة وعتوهم قاهرة لشوكة المتعصبين محطمة لسيوفهم . سحقت برجلها الاصنام المالكة على كل انحاء المعمور منذ الوفٍ من السنين فثلَّت عرشها ورفعت راية ابن الله وصليبه المنير فسارت في ظلّه الى فتح العالم الوثني لتربحه للانجيل وتمنحهُ بحرّية ابناء الله

نعم انَّ الكنيسة وجدت في طريقها اعداء جدداً اعني شيع المراطقة وبدع الملحدين بيد انَّ ذلك اجداها قوَّةً وزادها كمالاً اذ بددت بتعاليمها الخلاصيَّة غياهب تلك النحل وكشفت ظلماتها الكثيفة فبدا نورها الساطع ولاح حسنها الرائع

كان ذلك العصر زمن نوابغ الرجال وكبار الاحبار وارباب العلوم الكنسيَّة شرقاً وغرباً فتاهيك باسمائهم دلالةً على عظم مقامهم . فمن يا ترى يجهل فضل القديسين امبروسيوس واوغسطينوس وايرونيموس في الغرب والقديسين اثناسيوس الاسكندري ويوحنا فم الذهب وباسيليوس القيصري وغريغوريوس النازيزي في الشرق فانَّ تآليفهم الباقية الى يومنا تنطق بسموّ فضلهم وتشهد لكنيسة المسيح بالسباق في حلبة العارم وميدان الآداب

ففي ذلك العهد وبين هؤلاء الفطاحل ظهر افرام السرياني فجاراهم فضلاً وعلماً وشرّف شرقنا العزيز بما خلّفهُ معهم من جميل المآثر

ولد القديس افرام في اوائل القرن الرابع في مدينة نصيبين احدى حواضر بلاد ما بين النهرين في ذلك العهد . وقد جاء في ترجمة حياته المطبوعة في الموصل سنة ١٨٨٣ انَّ اباهُ كان كاهناً للاصنام في مدينته يسدن اصنم يدعى ابنيل . وذلك يخالف ما اوردهُ عنهُ مترجمو حياته ولا سيَّما ما رواهُ القديس عن نفسهِ في ميمر توبته الى الرهبان

حيث سرد بعض اعمال حياته فيقول (Acta Sanctorum , IV,60) : « قد هذّبني آبائي بالمسيح . علّمني والديّ خوف الربّ . . . قد اعترف اهلي بالمسيح في المحاكم . تربطني مع الشهداء روابط الدم » . فقولهُ هذا ينفي وثنيّة والده

والارجح انّ اهلهُ كانوا اغنى بالايمان منهم بغنى العالم وحطامهِ . وقد دعاهُ ابواهُ باسم افرام ومعناهُ بالسريانيّة الوافر والغزير والمثمر . جاء في احدى تراجمهِ القديمة ( AS, IV,74 ) انّ والديهِ عند مولدهِ نظرا في الرؤيا جفنةً ذات اثمار لذيذة كانت تمتدُّ اغصانها وتتوفّر عناقيدها فيُقبل اليها عدد لا يُحصى من طالبي جناها . فسمّاهُ لذلك بافرام

ولعلّ عمادهُ تأخر الى سني شبوبيّتهِ فكان ذلك سبباً لاستلامهِ الى بعض اهواء الشباب فانّهُ في ميمرهِ المذكور يروي بالتأسّف ما فرط منهُ من الذنوب في حقّ نفسهِ وحقّ القريب لا سيّما جنايتهُ التي بكاها طول حياتهِ اذ ساق بقرةً لاحد الفقراء فتاهت في البراري ثم افترستها الذئاب فحصل بذلك ضرر لصاحبها فسمح الله وفاء عن ذنبهِ هذا ان يُنسَب اليهِ جرم آخر كان هو بريئاً منهُ فحُبس ايّاماً طوالاً وكاد يذوق بسببهِ مرارة السياط بل الحكم بالإعدام لولا انّ الله نجّاهُ برؤيا ملاكٍ حرّضهُ على التقى واعمال البرّ . وعرف من رفقتهِ الذين وجدهم في السجن انهم مثلهُ رُموا بتُهَم باطلة مع اقترافهم ذنوباً سابقة لم يُحاكموا عليها . فاستنتج من ذلك انّ الله ربّما انتقم من المجرمين فيحكم عليهم القضاة زوراً لاجل آثام لم يجترحوها تكفيراً عن آثام اخرى مجهولة عند الناس ثابتة لدى الربّ

لكنّ هذه الشوائب التي اعترف بها القديس افرام علانيةً امام تلامذتهِ لم تكدْ تبلغ الكبائر وقد حملهُ على اشهارها تواضعهُ جرياً على قول الكتاب (امثال ١٨ : ١٧) : « الصدّيق هو الاوّل في اشتكاء نفسهِ »

وما نعلمهُ من بقيّة حياتهِ العالميّة انهُ خرج من تلك المحنة عازماً العزم الثابت على ان ينزع عنهُ الرجل العتيق « ويلبس الربّ يسوع » ( رومة ١٣ : ١٤ ) . وقد صرّح في حكاية احوالهِ انّ المعموديّة التي اصطبغ بها حينئذٍ طهّرتهُ من كل اوزار حياتهِ وظهر منذ ذاك متّصفاً بكل الصفات الحسنة والمناقب الجليلة متزّهاً عن أشر الشباب مبغضاً لأباطيل العالم دمث الاخلاق وديع النفس ساعياً في خير القريب متفانياً في خدمتهِ ،

حتّى انهُ في بعض السنين اذ علم ما اصاب مواطنيهِ من الضنك بسبب المجاعة غادر منسكهُ وجاء الرها يستعطي من اهل الثروة ليسدّ عوز البائسين فنجاهم من مخالب الموت

امّا صورتهُ الجسديّة فانّ بعض الاقدمين قد وصفها بقولهِ : « كان افرام طويل القامة ذا وجه صبيح وصورة جميلة تلوح عليهِ في كلّ حركاته سمات الوداعة واللطف وانما يظهر في عينيهِ وعلى جبهتهِ اثر الاسف والحزن لما يُلحق بالبشر من اكدار العالم »

وفي صورتهِ التي رسمناها هنا عن اثر قديم ترى وسامة وجههِ وجمال سحنتهِ ذات الوقار والورع . وقد عرَضهُ ذاك الجمال غير مرّة الى وقاحة البغايا لكنهُ دافع بشهامة عن عفّتهِ كيوسف الحسن بل ربح الى الله بحربهِ

بلغ القديس افرام شيخوخة صالحة فمات فيما يُظنّ في ١٨ حزيران سنة ٣٧٣م . وعدّ الرهاويون موتهُ رزءاً وطنيّاً فدفنوهُ باكرام عظيم ولا يزال قبرهُ في احدى كنائسهم مزاراً يتبرّك بهِ الجمهور

## ٢ المسيحي والناسك

ما كاد افرام يدرك شرور العالم حتّى فرّ الى الله وانقطع الى خدمتهِ . وكان وقتئذٍ القديس يعقوب اسقفاً على نصيبين فالتجأ اليهِ افرام وطلب منهُ ان يقبلهُ بصفة شمّاسٍ فخدمهُ خدمةً نصوحاً ولمّا عُقد سنة ٣٢٥ المجمع المسكونيّ الاوّل في مدينة نيقية استدعى الاسقف شمّاسهُ ليسير في رفقتهِ فصحبهُ فعرف افرام هناك ما صارت اليهِ كنيسة المسيح من العزّ والرونق وزاد استمساكاً بالايمان المستقيم واطّلع على خبث آريوس وانصارهِ فاستنكف من كلّ اهل البدع

ولمّا عاد افرام الى وطنهِ اراد ان يزهد في الدنيا ويعيش عيشة النسّاك فلحق بجبل قريب من نصيبين حيث كان انقطع الى الله احد الحبساء فتتلمذ لهُ واخذ عنهُ الطريقة النسكيّة مستحرّاً بالصلاة قامعاً لشهوات الجسد بالصوم والسهر والشغل ممارساً للطاعة التامّة والفقر الانجيليّ الكامل كما اوصى بهِ الرب ( متى ١٠ : ٩ ) مجارياً في جسدهِ للعفّة الملائكيّة حتّى كانت طهارة روحهِ الباطنة تزين صورة شكلهِ الظاهر . وصرف خصوصاً همّتهُ الى قمع حدّة طباعهِ فاصبح من ألين الناس خلقاً .

وكذلك اذ رأى نفسهُ مائلة الى الزهو والكبرياء لم يزل يقلُّ شباتها ويذللها فبلغ بهِ تواضعهُ الى ان عدَّ نفسهُ من اذلّ خلائق الله فكان يقضي الايام باكياً على ذنوبهِ واذا اثنى عليهِ احد كان ذلك الثناء لديهِ كإهانة عظيمة وعار شديد يصيبهُ عند سماعهِ احمرارُ الخجل وقلق الضمير فتنهمل الدموع السخينة من عيونه

قضى افرام عدَّة سنين في العزلة يتفرَّغ لاعمال النسك ومناجاة الله ولم يعد الى نصيبين الَّا لما رأى سنة ٣٥٠ اهل وطنهِ يتهدَّدهم لمرَّة ثالثة سابور ملك العجم وعدوّ النصارى الالدّ سائرًا لفتح مدينتهم بخيلهِ ورَجلهِ فأراد افرام ان يشاركهم في ضيقهم ويبعث فيهم روح الحميَّة والحماس للدفاع عن وطنهم . فارتدَّ سابور خائباً بعد ان حاصر المدينة سبعين يوماً ودفع على اسوارها مياه نهرها دون ان يقوى عليها . ومما يُخبَر انَّ صلاة القديس افرام ودعوة اسقف المدينة (١ على المدرّ جابتا عليه جيوشاً من البعوض والذباب فاضطرّ ان يكفّ عن الحصار فرارًا من اذاها ويعود الى بلادهِ مغبوناً

ثمَّ انتقل القديس افرام من نصيبين الى مدينة الرها واجتمع ببعض شيوخ نسَّاكها المعتزلين في ضواحي تلك الحاضرة الشهيرة وضارعهم زمناً في زهدهم وعيشتهم الشظفة الى ان دعاهُ الله الى ما هو افضل لمجدهِ تعالى وخير الكنيسة فلبَّى دعوتهُ لكنَّهُ عاش في الرها بين تراكم الاشغال عيشة الزهَّاد فتتلمذ لهُ عدَّة رجال جحدوا العالم على مثالهِ وأولعوا بالحياة النسكيَّة ولهم وضع تلك الميامر العجيبة المعدودة بالمئات في سائر المواضيع الروحيَّة ولا سيَّما التوبة والموت والدينونة والصوم والصلاة . وقد انشدهم افرام عند موتهِ وُصاتهُ الاخيرة يحضُّهم فيها على الثبات في البرّ واعمال النسك منهم ابراهيم وآبا وسمعان ومارا وزينوبيوس وبحضورهم انتقل الى الله كيعقوب بين ابنائهِ اسباط اسرائيل

والشائع عند جمهور الكتبة انَّ القديس افرام لم يَرْقَ في الدرجات الكنسيَّة فوق درجة الشمَّاس الانجيليّ وقد ورد في صدر معظم اناشيدهِ هذا العنوان «قال افرام السوريّ الشمَّاس» . وكذا ورد ايضاً في بعض تراجم حياتهِ القديمة . على انَّ في هذا الامر نظرًا ولا تخلو الشواهد على انهُ صار كاهناً . لنا على ذلك شهادة احد المعاصرين القديس امفيلوكيوس الذي سطَّر ترجمة حياة القديس باسيليوس احد اقمار

(١ لبس الاسقف المذكور القديس يعقوب الذي كان توفي سنة ٣٣٨ بل المدعو فولوجيز

الكنيسة اليونانيَّة الثالثة وكان امفيلوكيوس من اصدقائهِ ففي الترجمة المذكورة يخبر عن سفر القديس افرام الى مدينة القيصريَّة ليشاهد اسقفها القديس باسيليوس ويحظى بمواجهتهِ . فسرَّ باسيليوس بنظر افرام اي سرور واطرأ امام شعبهِ حكمتهُ وقداستهُ العجيبة ثمَّ لم يزل يلحُّ عليهِ حتى اضطرَّهُ الى قبول سرّ الكهنوت من يدهِ على انَّ القديس افرام كتم الامر تواضعاً عن مواطنيهِ لمَّا رجع الى الرها ولم يكشف الامر لاحد بل بقي في رتبة الشمامسة الى آخر حياتهِ . وقد جاء مثل ذلك في سنكسار الملك باسيليوس حيث يصرَّح بكهنوت القديس افرام بوضع ايدي القديس باسيليوس . ومثلهما احد مؤرخي القرن الثاني عشر في كتاب المرطقات يذكر ردود « القديس افرام الكاهن » على بدعة السَّابيين . وغير هؤلاء ايضاً احدث عهداً ذكرهم البولنديُّون ( AS.IV.53 ) مع ترجيح الامر دون القطع بهِ

ومما يؤيد نوعاً هذا الرأي ما رواهُ المؤرخ سوزومان القريب من عهد القديس افرام ( ك ٣ ف ١٥ ) ان سكَّان الرها لمَّا مات اسقفهم تألبوا عليهِ ليقيموهُ اسقفاً على مدينتهم لولا انَّ القديس تظاهر بالخبل واختلال العقل ثمَّ فرَّ الى البريَّة وبقي مختفياً ريثما يتمُّ انتخاب اسقف جديد فعرفوا انَّ جنونهُ حكمةٌ سماويَّة . فاجماع الرهاويين على انتخاب القديس افرام الى الاسقفيَّة يقرب الى الظنّ رسامتهُ كاهناً والله اعلم

## ٣ مؤلفاته الكنيسة

لا مراء في انَّ القديس افرام عُدَّ منذ وفاتهِ بل قبلها معلماً سامياً في الكنيسة السريانيَّة حتَّى تشبَّهُ بنبيّ السريان وبشمس الأمَّة السريانيَّة وعمود كنيستها . ثمَّ انَّ تآليفهُ لم تنحصر بين الناطقين باللغة السريانيَّة بل اسرع المترجمون فنقلوها الى اللغات الشائعة في الكنيسة الكاثوليكيَّة كاليونانيَّة واللاتينيَّة والقبطيَّة والارمنيَّة والكرجيَّة وفيها كلها ميامر وعظات وانانيد قد ضاع من بعضها اصلها السريانيّ . وهذا لعمري شرف عظيم قلَّما امتاز بهِ غيرهُ من علماء الكنيسة . ولنا في اقوال القدماء عن اعمال القديس افرام ما يدلُّ على اعتبارهم لها وتفضيلها على كثير غيرها كالقديس ايرونيموس والقديس يوحنا فم الذهب والقديس باسيليوس والقديس غريغوريوس النيصصي وتاودوريطس اسقف قورش وسوزومان المؤرخ . وقد بلغ

ثناؤهم على كتاباته الى تأثيرهم لها على تآليف حكماء اليونان قال القديس غريغوريوس: « انك لو نقلتَ ما كتبهُ مشاهير اليونان الى لغة اخرى لفقد رونقهُ ويبس لسابهُ بخلاف مصنَّفات القديس افرام فانها لا تفقد محاسنها في اي لغة كانت ». وافضلُ من هذا ما كتبهُ عنهُ القديس ايرونيموس قال: « افرام شمَّاس كنيسة الرها ألَّف في السريانيَّة عددًا وافرًا من التآليف. وقد بلغ صيتهُ في بعض الكنائس الى انَّها تتلو علانيةً مياسرهُ بعد تلاوة نبوَّات الكتاب المقدَّس وكتابات الرسل. وقد قرأتُ لهُ كتاباً في الروح القدس منقولاً الى اليونانيَّة فعرفتُ من الترجمة ما يتضمَّنهُ الاصل من القوَّة وسموّ المعاني»

امَّا العلوم التي أتقنها القديس افرام فهي خصوصاً العلوم الدينيَّة لم يَفُتهُ منها شيء اخذها في نصيبين عن استاذهِ الكبير القديس يعقوب اسقفها الشهير بتآليفهِ ثم اتَّسع فيها بدرسهِ الخاصّ للاسفار الالهيَّة حتَّى بلغ منها مبلغاً لم يبلغهُ الَّا القليلون فقضوا منهُ العجب بل نسبوا علمهُ الى الروح القدس الذي كان يوحي اليهِ بالعلم السماويّ. وقد اخبر عنهُ القديس غريغوريوس انَّ رجلًا من الاولياء رأى ملائكةً هبطوا من السماء وبايديهم مصحفٌ جليل يحتوي باطناً وظاهراً ابلغ المعاني وابدع الحكم واذ سُئلوا الى اي من كبار ذلك العصر يسلّمون الكتاب اجابوا انهُ موسل من الله الى عبدهِ افرام. فلما استلمهُ انطلق بهِ لسانهُ واضحى فريد عصرهِ في العلوم الدينيَّة

ومع تعمُّق القديس افرام بالعلوم النصرانيَّة لم يهمل العلوم الدنيويَّة لاسيَّما البلاغة والبيان كما يظهر من تآليفهِ الجمَّة فانهُ يسحر ألباب القرَّاء بألفاظها الرائقة ومعانيها الفائقة ونفَسها الشعري. وكذلك الفلسفة درَسها وعرف اسرارها وهذا ما سوَّل لهُ الردّ على اضاليل مبتدعي زمانهِ. والحقّ يقال انَّ اقوالهُ تتدفَّق كالعيون المتفجّرة والانهار الزاخرة يتغنَّنُ فيها كيفما شاء. وهو في كلّ ذلك لا يحيد عن تعاليم الكنيسة ذرَّةً تراهُ يصف اسرارها واغمض معتقداتها وَصْف ادقّ اللاهوتيين وارباب علم الكلام بحيث تُتَّخذ اقوالهُ حجَّةً لتأييد عقائد الكنيسة الرومانيَّة كرئاسة الحبر الاعظم على الكنيسة جمعاء وانبثاق الروح القدس من الآب والابن ووجود المطهر وحبل العذراء مريم بلا دنس وحقيقة القربان المقدَّس وغير ذلك ممَّا جمعهُ بعض العلماء من مياسرهِ بياناً لانطباق كلامهِ على معتقدات الكنيسة

ومما اهّلهُ لرتبة الملفان على الكنيسة كلّها تفاسيرهُ للكتب المقدّسة شرحها شرحاً دقيقاً جمع فيهِ بين معانيها اللفظيّة والمعنويّة والادبيّة والروحيّة نُشر بالطبع كثيرٌ منها وانما فُقد بعضها لسوء الحظ

وأما فحص الاختصاصيّون مؤخّرًا بامر قداسة البابا بندكتوس الخامس عشر كلّ هذه الكتابات الافرامية اعلنوا بصوت واحد انّ كاتبها يستحقّ ان يُعتبر ليس فقط كعالم لاحدى الكنائس بل كمرشد وملفان الكنيسة كلها فصدّق البابا على حكمهم

وهذه لعمري نعمةٌ لم تمنحها الكنيسة الّا لقليل من ابنائها تحت شروط معلومة الخطر ثالثة : (١ ١ قداسة حياة الشخص المنعم عليهِ بذلك ٢ ٠ سمو علومهِ التي امتاز بها فأضحى نورًا ساطعاً يُستضاء بهِ في امور الدين دون ان يكون شذّ في شيء من تعاليم الدين الجوهريّة ٠ ٣ الاعلان بهذه الرتبة بحكم رسميّ من الكنيسة

## ٤ المجاهد

قال القديس بولس في رسالتهِ الاولى لاهل كورنتس ( ١١ : ١٩ ) : « لا بُدَّ من البدَع فيما بينكم ليظهرَ فيكم المزكّون » ٠ فهذه الآية قد تمّت فعلًا في كلّ قرون الكنيسة ليُعرَف بها ابناء الله الحقيقيّون من الكفرة والملحدين ٠ على انّ هذه البدع

(١ دونك اسماء معلّمي الكنيسة وملافنتها وهم الآن اثنان وعشرون فقط : عُرف منهم في اجيال الكنيسة الاولى اربعة شرقيّين وهم القدّيسون اثناسيوس الاسكندري وباسيليوس القيصري وغريغوريوس النازينزي ويوحنّا فم الذهب الانطاكي . واربعة غربيّين وهم القدّيسون امبروسيوس الميلاني ويرونيموس واوغسطينوس اسقف ايبونة وغريغوريوس الكبير بابا رومية . ثمّ أُضيف اليهم بحكم الاحبار الرومانيين القديس توما الاكويني ( بحكم القديس بيوس الخامس سنة ١٥٦٨ ) ثمّ القديس بوناونتورا السارونيمي ( بحكم سكستوس الخامس ١٥٨٨ ) ثم القديس انسلموس اسقف كنتربوري ( بحكم اقليمنضس الحادي عشر سنة ١٧٢٠ ) ثم القديس بطرس خريسولوغوس اسقف راڤنّا ( بحكم بندكتوس الثالث عشر ١٧٢٩ ) ثمّ القديس بطرس داميانوس ( بحكم لاون الثاني عشر ١٨٢٨ ) ثمّ القديس برنردوس ( بحكم بيوس الثامن سنة ١٨٣٠ ) ثمّ القديس ايلاريوس اسقف پواتيه ( بحكم بيوس التاسع ١٨٥١ ) وبحكمهِ ايضاً القديسان الفونسيوس ليغوري وفرنسيس دي سال اسقف جنيفة ( ١٨٧١ ) . ثمّ كيرلّس الاسكندري وكيرلّس الاورشليمي ويوحنّا الدمشقي بحكم البابا لاون الثالث عشر ( ١٨٨٣ ) وبحكمهِ سنة ١٨٩٩ القديس بيدا المكرم . وكلّ هؤلاء اساقفة او كهنة . فان صحّ كون القديس افرام كان شمّاساً فيكون هو وحدهُ ادنى الجميع رتبةً

لم تظهر في عهد آخر ظهورها في القرن الرابع بوفرتها وعُرتها وبطر القائلين بها فعمّت كنائس الشرق وكادت تنفث فيها سمّها القتّال . وانما كان السبب في ذلك ان المتنصرين بارتدادهم عن الوثنيّة لم يستأصلوا من قلوبهم كلّ جذورها الفاسدة . لكنّ الله لم يهمل كنيسته واقام حينئذٍ اولئك المآمين الكبار الذين أصلوا الهرطقات حرباً عواناً فقنّدوا اضاليلها وقطعوا بسيف البرهان مزاعيمها الباطلة

وقد توفّرت اذ ذاك هذه البدع في كنائس ما بين النهرين حتى اربت على العشرين بدعة فمنها ما كان من بقايا الأدريين ولا سيّما مرقيون ومانى وبرديصان وحرمون ابنه ومنها ما كان حديث النشأة كبدعة آريوس التي انتشرت انتشاراً عظيما في انحاء الشرق وبدعة ابوليناريوس وسابليوس واونوميوس وپولوناس وأرندراس والمسّالين والبوليين وعَبدة الحيّات وغيرهم وخصوصاً اليهود اعداء النصرانيّة . فاذ رآهم القديس افرام وعلم ما يبثّونه من التعاليم الكاذبة والآداب الفاسدة تصدّى لهم وكتب تلك المداريش العجيبة التي احاطت القماط عن خزعبلاتهم وحذّرت جمهور المؤمنين من فساد آرائهم وسوء آدابهم اذ فندهم تفنيدا لطيفاً تارة بالبرهان القاطع وتارة بالمجاز والتعريض وحينا بالتهكّم وطوراً بالالتفات والمفاوضة بحيث تنفذ ادلّتهُ في قلوب السامعين نفوذ السهام الراشقة وتخطف الاذهان كخطف الشهب البارقة بينما هو يمزج كلامهُ بالعواطف اللينة والادعية الحارّة الى الله واستدعاء الخاطئ الى التوبة والضالّ الى حظيرة الايمان وحجر الكنيسة

وكأنّ القديس سبق ونظر ما سينشأ في الكنيسة من البدع الجديدة فتسارع الى تقويض اركانها . فكم من الاضاليل البروتستانيّة ومزاعم كلوين ولوناروس تجد سفسطتها مستأصلة بأقوال ملفان الكنيسة منذ من السنين قبل بروزها

وقد بلغ عدد مداريش القديس افرام ضد الهرطقات ٥٦ مدراشاً نشرها بالطبع الاب بطرس مبارك اليسوعي في الجزء الثاني من اعمال القديس افرام بالسريانيّة واللاتينيّة ( ص ٤٣٧ — ٥٥٩ ) ترى في كلّ منها ذلك الملفان يرصد اعقاب الهراطقة ويصف كلًّا منهم وصفاً حقيقاً بهِ فيقبّح تعاليمهُ ويكشف خبثهُ ومآثمهُ فلا يدع له مناصاً لينجو من رشق نباله . وقد در القديس يوحنّا فم الذهب حيث كتب في مديح القديس افرام : « انّ هذا الرجل العظيم يمتاز في كتاباته بما من شأنهِ ان يضرم النفوس

الفاترة العليلة ويُنهض همّة المكروبين ويرشد الفتّاك في طريقة الكمال ويدفع الخطأة الى التوبة ويُفحم البدع بسهامه الصائبة.

## ٥ الشاعر

قليلون هم ملافنة الكنيسة الذين امتازوا بالكتابة نثرًا ونظماً معاً لا نعرف منهم في الكنيسة اليونانيّة غير القديس غريغوريوس النزينزي وفي الكنيسة اللاتينيّة القديس برنردوس . امّا القديس افرام فانهُ كان مطبوعاً على الشعر حتى بلغ شعرهُ تسعة اعشار مجموع كتاباتهِ . قال المؤرخ سوزومان انّ منظوماتهِ بلغت ثلثمائة الف ( tricies centenas myriades ) وهو لعمري عدد لا يُحتمَل تصديقهُ ومع ما فيه من الغلوّ لا بُدَّ من القول انّهُ بلغ في ذلك ما لم يبلغهُ غيرهُ فانّ ما بقي من قصائدهِ يستغرق عدّة مجلّدات

والشعر السرياني القديم من نوع الزجليّات والموشحات ينقسم الى ادوار يشتمل كلّ دورٍ منها ابياتاً معلومة لكلّ بيت عددٌ محدَّد من التفاعيل . وهم يميزون بين الميامر والمداريش والسوغيثات لكل منها ادوارها الخاصّة تختلف طولاً وعدداً في التفاعيل والاوزان يلزمها الشاعر على موجب الانغام وفنون الغناء دون التقفية غالباً . هذا قبل تطوّر الشعر السرياني الذي التزم فيهِ الشعراء بعد ذلك العهد التقفية وجروا على فنون العرب

وكان اوّل من قصّد القصائد عند السريان الشاعر الرهاوي برديصان اقتدى في وضعها بالشعر اليوناني وكان هو تربّى على آداب اليونان في القرن الثاني للمسيح فنظّم الشعر السرياني على مثال معلّميهِ فراج بين اهل وطنهِ ايّ رواج وقام بعدهُ حرمون ابنهُ وجرى على منوالهِ فكان الرهاويون يتغنّون باناشيدهما ويعلّمونها اولادهم . لكنّ برديصان وحرمون كانا من ذوي البدع فأدخلا في منظوماتهما اضاليل تعليمهما . فلمّا اراد القديس افرام مناهضتهما لم يرَ بُدًّا من درس الفنون الشعريّة التي جريا عليها فأتقنها واخذ ينظم بموجبها وكان بليغ اللسان ذا عارضة غريبة يقول الشعر بديهاً ويرتجلهُ دون عناء . فألّف عدداً لا يُحصى من الاناشيد التي فنّد فيها مزاعم برديصان وحرمون وغيرهما من المبتدعين ثمّ علّمها ابناء وطنهِ فشاعت بينهم حتّى نسوا اناشيد الهراطقة واعتصموا بحبل الايمان المتين

ثم انتشرت اغاني افرام وتسابيحهُ ومنظوماتهُ التي وضعها في كل اسرار الديانة المسيحيَّة ومواسمها واعيادها بالكلام المنسجم والتشابيه البديعة والمعاني المبتكرة فتهافتت اليها الكنائس السريانية وتغنت بها في فرائضها الدينية ورتبتها الكنسيَّة وقسمٌ كبير منها لا يزال حتَّى يومنا هذا من جملة الصلوات التي يتلوها الرهبان والاكليريس عند السريان والكلدان والموارنة . وجاء بعد القديس افرام القديس يعقوب السروجي وبالاي وغيرهما واضافا اليها شيئاً من منظوماتهما مقتفين آثار القديس افرام الذي انشأ في الرها مدرسةً لتهذيب الاحداث وتربية الشبيبة خرج منها عدَّة شعراء نسجوا على منواله . والعجب انَّ رقَّة شعره ومحاسن نظمه تُرى حتَّى في اللغات التي نُقلت اليها تآليفهُ . كما شهد على ذلك فوطيوس زعيم الكنيسة الاورثدكسيَّة الذي اطلع في مكتبتهِ الشهيرة اعمال القديس افرام ووجد في كلامه مع قوَّة البرهان ودقة المعاني حسن البيان والنظار الصائب في انتقاء الالفاظ والصور الرائعة والتشابيه البديعة رغماً عمَّا يُفقدها النقل عن اصلها السرياني

وكان في فكرنا ان نروي هنا امثلةً من اقاويل القديس افرام ليعرف القرَّاء فضل ذلك النابغة الذي عُدَّ في زمانهِ بكنَّارة الروح القدس اولا انَّ ضيق المقام يضطرنا الى الوقوف عند حدنا هذه المرَّة مؤجلين لجني تلك الزهور العطرة والدرر الثمينة الى فرصة اخرى ان شاء الله (١) . وفي الختام نشكرهُ تعالى على ما منَّ بهِ بتمجيد عبدهِ القديس افرام الذي اتاح لنا الربّ في اواخر ايلول من السنة ١٩١٥ ان نتبرَّك بزيارة قبرهِ عند مرورنا في الرها . ونتمنَّى ان وضع هذا السراج المنير على منارة الكنيسة الكاثوليكيَّة ينعش في قلوب اهل الشرق الرغبة في درس تآليفهِ والاقتداء بسموّ فضائلهِ ويردَّ من تخلَّف منهم عن جادَّة الصواب كاليعاقبة والنساطرة الى حجر الكنيسة الكاثوليكيَّة التي كان القديس افرام ابنها الامين الى آخر نفس من حياتهِ

---

(١) راجع ما كتبناهُ سابقاً في احد اثاره اعني مقالاتهِ في البتوليَّة التي نشرها غبطة البطريرك اغناطيوس افرام الثاني الرحماني ( المشرق ١٠ [١٩٠٧] : ٢٣-٣٠ )

# رحلة الامير بشير الاول الى مصر

## للشيخ سلُّوم الدحداح

نشرها جناب الاديب الشيخ سليم الدحداح (تابع)

ومصباح الاحد نبَّه الصدر الاعظم على جميع قوَّاد العساكر تحضر في العُدَد والخيل كلّ وجاق (١ بوجاقهِ وكل رتبة برتبتها ويعاون آلاي من صيوان (٢ السور الى قناق (٣ الكومنده وكان مسافة ساعة . وعملوا آلاي على الصفَّين وفتحوا زقاق من قناق الكومنده الى صيوان الوزير فكان موكباً يدهش النظر . وركب الكومنده وصحبتهُ عشرة جنرالية فرنساوية وقدَّامهم السنجق من قناق الكومنده الى صيوان الوزير . ومن بعد المفاوضة امر الوزير باحد عشر كُرك سمُّور (٤ عظام الى الكومنده والعشرة الجنرالية الفرنساوية . والى ترجمان الكومنده فرو اقاقون (٥ . ثمَّ رجع الكومنده وصحبتهُ تلك (اولئك) الفرنساويين الى قناقه بين تلك الآلاي . ثمَّ حضر الكومنده لعند الامير بتلك (بذاك) الاتفاق . وفي ثاني يوم توَّجهوا الفرنساويه راكبين هجن

وعند الظهر ابتدأت المناداة في العرضي انَّ القيام بعد اربعة ايَّام فسير جميع الاوردي الى قطية (٦ وهي مسافة يومين من العريش وانَّ ناصيف باشا العظم (صار) والي مصر وانهُ يقوم الى الصالحيَّة لبين ما تخرج الفرنساويَّة من مصر الى الاسكندريَّة

ثمَّ حضر الكومنده لعند الامير وافهمهُ انَّ نهار بكره يرجع من قناقه لتسليم

---

١) اصل الوجاق موضع النار ثمَّ اطلقهُ الاتراك على الفرقة العسكريَّة المجتمعة حولها

٢) الآلاي المناورة والموكب في التركيَّة . والصيوان فارسيَّة اصلها صايوان ومعناها الخيمة والجوسق ٣) القناق والصراب فوناق بالتركيَّة المنزل والمقام والقصر

٤) الكرك الفروة . والسمُّور (martre) حيوان صغير تُصنَع من جلده الناعم الفراء الثمينة

٥) من آق التركيَّة اي الابيض

٦) قطية بلدة صغيرة على ساحل البحر بين العريش وغزَّة .

اغراض الامير ورجع الى قناقه . وفي ثاني الأيام ارسلني الامير الى عند الكومنده فسرتُ وعند وصولي رأيت عندهُ عثمان بيك الاشقر الذي قد كان حضر الى بتدين حين كانوا الافرنج على عكا فحين نظرتـهُ تعوقت الى ان قضى اشغالهُ وانصرف . فدخلتُ عند الكومنده فأفهمني انهُ صار مرادهُ يسافر في البحر وانَّ الامير ان اراد السفر في البرّ لهُ الاختيار فاعتذرتُ لهُ فسار الى عند الوزير وانا رجعتُ افهمت الامير . وبعد حضور الكومنده لعند الوزير الاعظم حضر الى عند الامير فـافهمه انَّ سفر البرّ مشقة عليه وسفر البحر انسب لهُ وجرى بينه وبينه جملة مفاوضات سرّية

ثمَّ توجّه الكومنده الى مركب الباوق وتوجّه الامير يودّع الكاخية فساق معهُ كلّ اكرام واجتمع بهِ ساعةً . ثم امر احد خدَمهِ ان يستأذن الصدر الاعظم في الدخول عليهِ فرجع الرسول يعزم الامير . فسار الى خيمة المنامة فاذن لهُ بالدخول واجلسهُ بجدّ فرشتهِ وبدأ يكلمهُ بالعربي قائلًا : يا امير انت ولد مخصوص لي . ثمَّ امر الوزير ان لا احد يبقى بقرب الخيمة وتكلّم معهُ بامور لا احد منَّا عرفها ثمَّ نهض الامير وقبل اتكهُ وانصرف . وافهم الوزير الى الترجمان : اني كنتُ اظنّ انَّ الامير بشير مثل بقيّة اولاد العرب ففي مدّة حياتي لم نظرتُ شخص مهذّب مقبول حلو الالفاظ مثل هذا الرجل . وقال لي الكاخية : يا يازجي انَّ الامير بشير فريد كامل المحاسن كما كنَّا نسمع عنهُ ومرادي ان تقول لهُ لا يحمل همّ . وقسم لي يمين في النبي محمّد انهُ حين يراهُ يفرح قلبه . وبعد انصراف الامير فرّق البخاشيش وبتنا تلك الليلة

ومصباح الاثنين حضر فيسال من عند الكومنده يعزم الامير الى المركب فسار حالًا نحو البحر . فحين نظر الكاخية الامير سائرًا امر حالًا لزاله ان يقدّموا لهُ حصانًا من خيلهِ بالعدّة الكاملة فركب الامير الى حدّ البحر ورجع الحصان ونزلنا في الفلايك الى المركب الذي كان اتى بالذخيرة لأن الكومنده رآه اهدى وقال للامير : سِر الى يافا وهنـاك تنزل الى مركبي . ثمَّ في السهرة حضر الكومنده لعند الامير وبيده مكتوب من قنصل بيروت يذكر بهِ انَّ عساكر الجزّار سارت الى بلاد جبيل والامير حسن ومن معهُ انهزموا الى صافيتا

ثمَّ انَّ قبل نصف الليل قلع المركب فوصلنا في الليل الثاني الى يافا وكان مسافر معنا في المركب افندي مرسلهُ الصدر الاعظم الى الدولة العليّة يخبر في تصريف امر

مصر . وافندي ثاني مرسلهُ الى الاسكندريَّة كي يبقى يعطي للمراكب الذي يوسقوا الفرنساويَّة اوامر بعدم المعارضة لهم . وفي وصولنا الى قبال يافا حضر فيسال يعزم الامير ليتزل الى مركب الكومنده فسار الامير وخدمهُ حالًا وفي وصولنا قوَّس المركب تسعة مدافع ولاقاهُ الى رأس الدرج وترحَّب بهِ وانزلهُ عندهُ في الكامرة الذي هي مكان منامته وجعل ستار قماش هندي بينهُ وبين الامير وقدَّم لهُ علبة الماس ثمينة واعطى الى الشيخ نجم قطعة قماش والى الفقير قطعة

ثمَّ ليلة الخميس قلع المركب من يافا طالبين قبرص فاصبح المركب قبال الكرمل ومصباح الاحد وصلنا الى قبال روشن (١ بيروت فقوَّس مدفع نيشان كي يحضر القنصل الى عنده وحالًا نزل القنصل وبو حسن رئيس المينا في فلوكه وحضروا الى عندنا واخبرونا انَّ الامير حسين متوجّه الى دير القمر . فحرَّر الامير الى اخوه يخبرهُ عن وصوله الى العريش وكلّ ما توقَّع معهُ ولكن ما شرح لهُ عن شيء خوفاً من وقوع المكتوب ( في ايدي احد ) وعرَّفهُ انهُ متوجّه الى الاسكندريَّة . وتوجّه في المكتوب مرعي بو ملهب وجرجس شاول لطرابلس في البحر

ونهار الاحد نصبوا على المركب طنده (٢ من صوف ابيض وازرق واحمر جلّت ظهر المركب ونصبوا كرامي وعملوا قرَّاية مجلّلة بستر ووضعوا عليها الانجيل والزبور وطلع الخوري لابس قميص سودا واستقامت الصلاة ساعتين (٣

وفي نهار الاثنين والمركب ساتر في الواسطة التقى في البنايطة القادمة من العريش وكان بها البادري نقولا القدسي (٤ فاكرمهُ الكومنده وترحَّب بهِ وكلفهُ يجلسهُ على المائدة معهُ . وقد اخبر عن قيام اوردي همايون (٥ من العريش الى قطية - ثمَّ نهار الثلثاء اصبح المركب على الماغوصة (٦ ومصباح الاربعة قبال اللَّاحة (٧

---

١) الروشن الفُرضة ( فارسيَّة )

٢) هي خيمة السفينة . من الايطاليَّة (tenda)

٣) هي صلاة الاحد عند الانكليكان ٤) لعلَّهُ احد رؤساء الرهبان الفرنسيسكان

٥) الاوردو الهمايون هو الجيش التركي الذي في وطء السلطان او احد كبار الوزراء . ومعناهُ الجيش السعيد

٦) الماغوصة فرضة قبرص الشرقيَّة يدعوها الفرنج Famagouste

٧) اللَّاحة (Salines) مينا مدينة لَرْنكا في قبرص يدعونها la Scala

وبقي الى الغروب حتّى قدر رمى المرسى . وكان في المينا جملة مراكب انكليز ونمساوي ومسكب وعشاه فصلوا شنك (١ مدافع في البحر والبرّ لقدوم الكومنده

ومصباح الخميس عزم الكومنده الامير كي ينزل الى البرّ يشمّ الهواء وارسل الى القنصل يعزّل لهُ حارة في الارنكه (٢ وارسل معهُ قبطان كتز (٣ يمشي قدامه للقناق وارسل معهُ اربعة خُلدات بقوا واقفين امامه وترجمان يستقيم عنده . وفي وصول الامير الى دار القنصل للملاحة اجتمعوا سائر اكابر الانكليز الى عند الامير واتت حرمة القنصل بملبوس عظيم سلّمت على الامير . ثمّ حضرت العربانات وتوجّهنا الى الارنكه لعند ابن القنصل الكبير المتوفّى وهو ولد بشوش ابن اثنتي عشر سنة فالتقوا الامير هو ووالدتهُ بكل اكرام

وقد كان حين الامير نزل الى البرّ ارسل لهُ الكومنده الف ذهب اسطنبولي خرجيّة البرّ . ثمّ نزل الامير في دار سوسان عمّة ذلك الصبيّ وابتدأ يحضروا القناصل من جميع الطوايف والمضامات (٤ يسلّمون على الامير ويهنّوهُ بالسلامة . وتوجّه الامير الى طواحين الارنكا لانّ مطرحهم مفترج وتفرّجنا على محلّات يطول عنهم الشرح . وكان حين يمرّ الامير يقفون الجميع في الاسواق يأخذون السلام كعادة الوزراء وان كان احد راكباً يحوّل حالاً . ثمّ في ثاني الايّام حضروا قباطين المراكب من قبل الكومنده يسألوا عن خاطر الامير وان كان المطرح مناسب ام لا وان كان حضروا جميع الطوائف سلّموا عليه ام لا . فاستكثر بخير الكومنده واخبرهم انهُ حاصل على كل اكرام وانشراح

ثمّ في ثاني الايّام حضر الترجمان من عند الكومنده يخبر الامير انهُ كان نزل في البياده (٥ ليحضر لعنده فما امكنهُ من التوه . ثمّ مصباح الثلثاء حضر قبودان

---

١) اي خشة وترحاب

٢) الارنكة هي مدينة لَرْنكا من حواضر قبرس

٣) هذا اسم شرف كان الاتراك يطلقونهُ على امراء العرب الذين في خدمة الدولة

٤) المضامات تعريب الفرنسويّة Madame ولعلّها تصحيف المقامات

٥) البياده هم المشاة من الجند فارسيّة الاصل

كثر وعن يده مئلف مكاتيب اجت الى الامير من بلاد الدروز من اكابر الديره (١ ويسأل عن لسان الكومنده بان الامير يعرّفه عن الاخبار الذي في تلك المكاتيب. فردّ الامير جواب ان الشرح طويل ولكن حين ينزل الى البرّ يعرضهم عليه . وكان كلّ من يحضر في البحر يخرج يتفرّج على الامير ويسلّم عليه . وحضر جاويش قبودان (٢ وطلب مواجهة الامير وافهمني في التركي انّ الانكليز مقدّمين صورة الامر الى قبودان باشي (٣ عمارة العسمله . وارسلني لكي انظر الامير هل هو على موجب الصورة ام لا لانّ سعادة قبودان باشي هل قدر ابتهج من تلك الصورة . فعزمتهُ ودخل سلّم على الامير وقال لي: بالحقيقة انّ صورته اعظم من الصورة . ثمّ انصرف

ومصباح الاربعاء ارسل الامير فرنسيس دميان يسأل الكومنده ان كان هو متعوّق في البحر حتى يوجه لهُ المكاتيب . فحضر الكومنده حالًا الى الملّاحة وعند الغروب حضر لعند الامير وصحبتهُ موسى رَيت(٤ والقنصل وفيسال وبقي ساعة ورجع وان على بكرة يرجع ليقروا المكاتيب فقال لهُ الامير: انا الصبح اتوجّه لعندك. والكومنده يقول : انا احضر لعندك . ثمّ ثاني الايّام الصبح حضر اهالي البلد يسلّموا على الكومنده فما صار فطاوة . وصباح الجمعة قصد الامير يسبق ويتوجّه لعند الكومنده وفي وصوله اخبروه ان الكومنده بعده في الفرشة . وحين علم بقدوم الامير ارسل يعزمه الى عنده . فقال الامير : انا منشرح ها هنا الى ان يكون قام من النوم . فما قبل الكومنده ولزّ على الامير في الدخول بلجاجة والامير يعتفي من الدخول فما امكن حتى دخل وقابله وهو في ثياب النوم فقال الى الترجمان : ان ليس هي عادة اقابل وانا في الفرشه ولكن المحبّة تخرق العوائد . ثمّ اخبره عن التحارير الذي حضرت من البلاد وتفاوضوا في كلّ شيء وتفارقوا ( وتوافقوا ؟ ) على تحرير الجوابات لأنّ الامير لم كان ينافي الكومنده في شيء

---

١) الديره في لغة العامّة القاطعة والابالة اصلها الدائرة

٢) اي القبطان الحاجب

٣) اي رئيس امراء البحر

٤) موسى رَيت(Wright) كان ترجمان القومندان سمث ويظهر من اسمه انهُ كان انكليزيًا

ثمَّ رجع الامير الى قنطاقه وفي السهرة ارسل لهُ مكتوب من قنصل طرابلس وداخله مكتوب من الشيخ بشير جنبلاط ذاكر فيه عن الضيم الذي حصل لهم وان البرَد (كذا) الذي من عبدالله باشا ما احد اعتبرها في ايالة طرابلس وانهم استقاموا ثلاثة ليالي في الشيخ عياش (١ تحت المطر . فانغمَّ الامير من ذلك

ومصباح السبت حضر فرقاطه من سيسيليا بكتابات الى الكومنده من سر عسكر الكبير (٢ ان لا يقبل هذا الصرف من الفرنساويَّة ولازم يأخذهم اسرى وهذه صورتها:

« ايها الاخ المحبوب اذ قد وصلني مكتوبك وبهِ تذكر انهُ حسب التخليص المعطى لك من ديوان الملك العالي انك تخرج الفرنساويَّة من مصر باي طريقة تراها مناسبة وانك قد فهمت من اكران (٣ وزير الشمله انهم راسلوا الفرنساويَّة على الصلح وانهم يخرجوا من مصر الى بلادهم احرار بكافَّة غنائمهم وانهُ قد اختار هو الصرف على القتال وانهُ من حيث حال الحاضر ارتضيتَ انت معه وانهُ اذا مرُّوا الفرنساويَّة لا تعارضهم . والحال انَّ لامر الذي عندي من الديوان العالي انَّ الفرنساوية الذين في مصر لازم يذهبوا بالسيف ام يخرجوا اسرى . واعلم انهُ ان وصلوا الى هذا الطرف لاجل اعتبارك لم نتأخرهم بل نرجعهم تنقضهم المراكب في مصر. وانا لاجل خاطرك حرَّرت عرضحال مع عرضحالك الى الديوان العالي انهم يقبلوا رجاك بهذا الصرف ولكن هل امر يتعصب جدًّا لانهُ متعلق مع باقي الملوك فيجب بحال وقوفك على جوابنا تعطي خبر الى اكران الوزير انَّ هذا الصرف غير مقبول والى سر عسكرهم كلبر ان هذا صرف لا يتمّ »

ثمَّ مصباح الاحد ارسلني الامير انا والترجمان الى عند الكومنده ومن زود العجق لم قدرتُ افهمه ما فهمته من الامير . ثمَّ من بعد عاقة زائدة قال لي: انا بعد الغدا. اتوجَّه لعنده . ثمَّ بعد الظهر حضر واجتمع مع الامير وحرَّروا كتابات الى الامير حسن (٤ وان يتوجَّه حسين الداهوك الى طرابلس . وبعد رجوع الكومنده

١) الشيخ عياش من قرى ايالة طرابلس

٢) هو الاميرال بأسون الشهير الذي ضرب الاسطول الفرنساوي في ابي قير فدمَّرهُ سنة ١٧٩٨ . ومكتوبهُ المذكور هنا هو الذي عدَّهُ الجنرال كليبر غدرًا وخيانة بعد ان وعدوهم بالامان فحمل بجنوده على الاتراك والانكليز برًّا في هليوبوليس فكبَّدهم الخسائر الفادحة

٣) لم نقف على اخبار هذا الوزير . والشمله او الشملة في بلاد الشام كالشملي وفي التركيَّة عثمانلي

٤) الامير حسن اخو الامير بشير

حضر ترجمان من عند متسلم قبرص يلزم سعادته ويسأل خاطره وان يستقيم الى ان يفرجها الباري وهو يقدم له ما يحتاج. فاستكثر الامير خيره وامر للرسول بخرجية. ثم مصباح الثلثاء حضر الكومنده يفهم الامير انّ مراده يرجع الى المركب وان متى اعتمد على السفر يرسل له الفلايك

وفي الارنكه فيه عادة ملاعيب فتفرّجوا الخدم. وحين نظر كبارة (١ انّ الامير زعلان جاب له صندوق داخله صور الممالك كان جابه قديماً والده الى علي بك عزيز مصر (٢ فتفرّج الامير على ذلك ورجّعه. وبقي الامير ثلاثة ايام ومن المطر لم يصير تسهيل الى السفر. وفي نهار الجمعة حضر قنصل الانكليز وبيده الفرمان الشريف من سعادة الوزير الاعظم الى محضل قبرص فحواه « انّ الامير بشير الشهابي حضر الى اوردي همايون وصودف في وصوله قيام الاوردي المنصور الى الصالحية (٣ وبما ان مزاجه منحرف اقتضى انه يتوجه في البحر ويمكن يطلع الى جزيرة قبرص ليرتاح من سفر البحر فالمراد ان حضر اليها تسوقوا معه كل اكرام وكل واجب وملاحظة. وان وقع في حقه ادنى امر تبقى انت تحت عائدة الدولة العليّة الى ان يطيب خاطره بالانصراف بكلّ صحّة وامان. وهذه اعزّ الخدمات منك لدينا ولتكن متحذّر في امرنا هذا ومتيقّظ من المخالفة.

وهذا الفرمان حين فهم الكومنده تضعضع احوال الامير حسن افتكر انه يميل في الامير الى قبرص ليأخذ راحة ويحرّر الى اخوه فارسل الى ترجمان موسى ديت فاعرض الى سعادة الصدر الاعظم واخرج ذلك الفرمان وارسله تحت يد القنصل. وحين رآه الامير ارسله الى جناب الكومنده فردّ جواب انه بكرة اذا كان الطقس طيب ارسل الى الامير الفلايك واذا هذا الفرمان يبقى مع القنصل

---

١) كذا في الاصل ولم نستدل على الشخص المقصود هنا

٢) علي بك هذا كان نصرانيّ وقع صغيراً في ايدي انخاسين فباعوه في مصر لبعض ممالكها فتقدّم عنده ورافق معه الحجّاج فخلّصهم من غارات الأعراب ثمّ تقدّم في مناصب الدولة حتى اصبح احد اعيانها وثار على الدولة التركيّة وصار في يده الحلّ والربط وحالف ظاهر العمر صاحب عكّة واستولى على الحرمين وقسم من بلاد الشام حتّى حاربه احد عمّاله المدعو بابي ذهب فغلبه ومات سنة ١٧٧٣

٣) مدينة صغيرة على طريق القفل السائر من مصر الى الشام

ونهار السبت اوّل اذار حضر فيساليه في الفلايك يعزموا الامير الى المركب فنهض الامير حالاً وسار الى عند القنصل ودّعهُ وفرّق بخاشيش على اصحاب المحلّ واليسقيه (١ والدائرة وفي الميناء ثمّ نزل الى المركب ولاقاه الكومنده حسب العادة. ومصباح الاحد حضروا القناصل واكثر اهالي البلاد ودّعوا الكومنده . والمساء حضر الترجمان يقول لي انّ الرزّ في برّ الشام قليل والكومنده مراده ان يرسل رزّ الى بيوت الامير واخوه وطلب ان تفهمهُ تحت يد من يرسله . فاستكثر الامير خيره وما امكن يقبل . ومصباح الاثنين قلع المركب من اللّاحة متوجه الى الاسكندريّة

وفي تلك الايّام وصل مركب من البلاد واخبر الكومنده انهُ خرج عمارة فرنساويّة الى هذه النواحي . وفي تلك الليلة حدث ريح عاصف وفي النهار صار المركب في الواسطة وابتدوا يستعدوا للحرب لانهُ بان مراكب عن بعد فدخلوا القباطين فيّقوا الكومنده من النوم . فاخذ الناضور وطلع الى الساري وبعد برهة نزل واخبر الامير انّنا على رشيد (٢ والمراكب فرنساويّة ومتهم اذن متّي ان ينقلوا اثقالهم من دمياط الى الاسكندريّة . ثمّ بعد ساعة ظهر مركب باليك فرجع الكومنده الى الساري والناضور بايده فعرف انهُ مركب تيشيس . وفي عصريّة ذلك النهار صار المركب على جنب فندهُ على القبودان في البرق ان متى هجع البحر يحضر لعنده . وفي الليل صار نوّ عظيم وكبر البحر فاصبح الجمعة قبال البرّ المصري والبحر كبير جدًّا . وفي نهاره حضر القبودان وافهم الكومنده انهُ جاب صورة الجزّار وفرّجنا اياها . والعسر امر ان يرفع بندرة لشارة ان قبودان مركب التيشيس وقبودان مركب الياريك يحضروا لعنده فحضروا وصحبتهم الافندي الذي متوجه الى الاسكندرية كما ذكرنا عنهُ ليعطي اوامر السفر الى الفرنساويّة وبعد ما واجهوا الكومنده رجعوا الى مراكبهم .. (التتمّة لعدد آخر)

---

١) اليَسقية هم خدّام الوزراء والقناصل . اصلها من يَساق وسناهما الامر والنظام اي المأمورون

٢) رشيد احدى مدن مصر الساحليّة الشهيرة

# اوهام الدارس بعد شهادة المدارس

لهنري مايلهاك معرّبة بقلم الاديب ميشال افندي شبلي

قرأتُ للكاتب الافرنسي هنري مايلهاك ( H. Meilhac ) مقالاً أعجبتُ بمعناهُ ومبناهُ صاغهُ الكاتب بقالب رسالة لحفيدٍ قد حاز الشهادة العلميَّة فجاء حقيقةً صائبة لما يصادفه السواد الاعظم من متخرّجي المدارس من انسداد ابواب الرزق امامهم . وذلك لعمري من آفات بلادنا على الاخصّ ففي كل سنة يخرج من مكاتب الدرس مئات من المتهيئين وبيدهم الشهادات فيأخذون في البحث عن طريقة شريفة تمكنهم من اكتساب معاشهم فصاحب النصيب هو الذي يمكنهُ ان يكون كاتباً في محل تجاري او كاتباً في دائرة يدفن فيها ذكاءهُ وعلمهُ براتب هو دون الطفيف قلّما يكفيه لسد احتياجاته . ومَن تأبى عليه نفسهُ ذلك لا يجد امامهُ سوى ركوب متن البحار بجانب القروي المهاجر الى ديار الغربة حيث يوقف هناك ما هو عليه من مقدرة ونشاط في خدمة بلاد غربية

أما إصلاح هذا الخلل فهو من الضروريات القصوى وهو بلا مشاحّة في التعليم الكافي والتخصص بفرع او صناعة معلومة يكون من ورائها النفع الشخصي العمومي ثم الثبات في مزاولة العمل . وهاك نصّ تلك الرسالة :

يا حفيدي العزيز

قد علمتُ بانك قدّمت الفحص على دروسك ونجحت فاني اهنئك فها انك تترك بغضة الدرس وتصير رجلاً غير اني انصحك بألّا تخال ذاتك مدعوًّا وكفوءًا لمزاولة كل الاعمال لانك قد حزت قصب السبق في الترجمة او لانك تفوّقت في الكتابة لانه يجب على من يريد ان يسود في العالم ان يمتاز بغير الاوّلية في دروسه ولا تظن بانه يكفيك لتملك عنان المستقبل ان تكون حائزًا على الشهادة . لا فاني حزتها قبلك وان معي شهادة العلوم والمعارف وشهادة المحاماة ايضاً فاذا تغني كل ذلك ؟ . انه حملني بعد ما حاولت مزاولة مهن عديدة غريبة ان اوقف ذاتي اخيرًا في خدمة الاتراك واني الآن اسرد لك باختصار ما آلت اليه حالي قبل ان اصير تركيًّا واتمنّى ان

يكون لك هذا الدرس نافعاً ويجعلك حكيماً مدرباً فيسهل عليك ادراك فهم امور هذه الحياة على العموم وخصوصاً حياة امثالك المتهيئين من دروسهم

حزتُ انا على الشهادة الدرسية وكان عمري ثماني عشرة سنة . . وكان اليوم المعدّ لتقديم الفحص النهائي يوماً ممطراً وكانت الثلوج تتراكم في الازقة . فتأففت من ذلك عند خروجي من باب الكلية وقلت ما اكثر الثلج والاوحال فانها تضايقنا . وكان ذلك على مسمع من احد مأموري التنظيف فالتفتَ اليَّ وقال: سنأتي على تنظيف هذا كلّه قبل المساء. واذا احتجنا الى عتلة وفعلة فاننا سنجد غدا حتى ثلاثة الآف عامل من متخرجي المدرسة الجدد الذين سيأتوننا طالبين عملا . فعددتُ في نفسي هذه الكلمة وقاحةً منه ولكن يالاسف فانه لم يطل بي الامر حتى ظهرت لي حقيقتها المخزية

وكنت قد انكببتُ منذ خروجي من المدرسة على درس الحقوق مدى سبع سنوات لم احتج فيها الى فتح شهاداتي. وبعدها اخيراً صرتُ في مصاف المحامين . فأتى اليوم الذي وجب عليَّ به ان اقف مدافعاً لاوّل مرّة وذلك عن شخص اخذ من اخر بعض آنية وانكرها عليه . وكنت وَجِلًا في تلك الساعة بهذا المقدار حتى اني اتّشحتُ بثوب قصير لم يبلغ ركبتيّ فكان ذلك مدعاةً للضحك حال دخولي قاعة المحكمة . فنبّهني احد اصدقائي بلطف الى وجوب ابداله . فذهبتُ وابدلتهُ بثوب آخر كان هذه المرة طويلًا حتى اني عند الدخول عثرتُ باذياله وانطرحت في القاعة وبوسعك ان تدرك كم احدث ذلك من الضحك حتى ان القضاة لم يلبثوا ان برّأوا ساحة الذي كنت ادافع عنه مثلي مكافأةٍ لي على إضحاكهم . فربحتُ القضية بدون سابق امل بذلك . ولكن رغم هذا النجاح ظللتُ احسب ذاتي دون مهنة المحاماة وكتبت بذلك لأهلي . فجاءني جوابهم وفيه هذه العبارة ومؤدّاها «ان السنّة الطبيعة تقضي بان افراخ العصافير عندما تنبت جوانحها يجب ان تقوم بذاتها بجميع احتياجاتها» . فهذا المثال جعلني ان افكر مليًا وكنت اعلم بانه ليس لي ان اطيل اتكالي عليهم فرأيتهم على صواب برغبتهم في ان يروني اقوم وحدي بأودي وكيف لا يمكن ذلك؟ ومن تراه يظن بان رجلًا مثلي بيده الشهادات العلميّة وهو مع هذا محامٍ لا يستطيع ان يكتسب بسنة مثل ما يكتسب التاجر؟ قلت في ذاتي: يجب ان يكون في جناحي قوّة الطيران

وكان آنئذ انَّ الاستاذ الذي درستُ عليه القراءةَ محتاجٌ الى معلم بعد ما تركه لاحتراف التجارة المعلم الذي كان عنده فطلبتُ ذلك المحلّ وادركتهُ بفضل ألقابي العلمية وكان كسبي منه ثلاثين فرنكاً شهرياً مع اكلي وشغل اربعة عشرة ساعة في النهار فتدرَّعتُ اولاً بقوّة الارادة واحتملت ذلك في الشهر الاول ولكني اقرّ ان صبري نفد في اخره فتركت الاستاذ وتلاميذه غير مأسوف عليهم . وعددتُ ذاتي سعيداً بالدخول حالاً في حاشية بعض الوجهاء لتعليم احد اولاده مبادئ اللغات القديمة . فكان ذلك احسن من الحال الاول ولكني لسوء الحظ لم اتمكن من الاتفاق مع تلميذي الجديد وما عشوا ان نبذوني من الخدمة

واخبروني اذ ذاك ان في احدى النظارات اشغالاً هامّة يطلبون لقضائها الاكفاء فقصدتها حالاً وقابلتُ احد المعاونين وكان على صدره وسام وعلى انفه نظّارة زرقاء. فقلت له : اني اودّ الدخول في النظارة كمساعد واخذت اسرد لهُ شهاداتي واعدد له معارفي . فقال لي : اكتب استدعاءك على ورقة لنتمكن من رؤية خطّك . وادار قفاه . فخرجتُ شاعراً بالاهانة . ومع ذلك كتبتُ استدعائي بخط جميل يحسدني عليه اشهر الخطّاطين ولبثتُ انتظر جوابه . وبعد ستة اسابيع تلقّيت خبر تعييني . وكان ان في مدة هذه الاسابيع لم اتمكن من العمل ولم أرد ان أعلم اهلي بان شهاداتي تتركني اتضوّر جوعاً فتراكمت عليَّ بعض الديون . اخيراً دخلت النظارة وقلبي يتطلّع الى ما ستحتاج اليه الحكومة من رجل بقدرتي فقادني المعاون ذو النظّارة الزرقاء الى منضدة يعلوها كداسة اوراق وعلى كل منها رقم معلوم فقال لي : عليك ان تنظم هذه الاعداد بترتيب الارقام وخرج . فوقفتُ افتكر بان هذه المهنة هي اولى باحد الاغبياء اكثر مما هي بدارس نابغة مثلي . ومع ذلك لم انبس ببنت شفة بل اخذت بترتيب تلك الاوراق ولم آتِ على اخرها الاّ بعد مضي نحو شهرين ونصف مع العمل اثنتي عشر ساعة في النهار وبعد ما اكملتُها اعلمتُ المعاون بذلك فقال لي : « حسناً وها اني ارسل لك ما تعمله » . واذا باثنين من خدَم النظارة أقلّا باقلّ من عشر دقائق رزماً جديدة من مثل تلك الاوراق تضاهي بل تنيف عن التي وجدتها يوم دخولي . . فاحتدمتُ غيظاً ولكن كان يجب عليَّ ان املك ذاتي

اما المعاون ذو النظّارة الزرقاء فقد كان مضحكاً بحركاته ولم يكن يدخل عليَّ

مرّةً دون ان يُسمع صوته الأجش مرّددًا هذه العبارة يريد بها التهكّم قائلًا: « أما وجدتم الخطأ ؟ » . فاردت اخيرًا ان أظهر له خطأه لعدم تقديره ما بي من الكفاءة فنظمتُ قطعة شعرية سخريّةً به وقرأتها لجاري في العمل وكان هذا ايضاً من ذوي الشهادات العلمية وكانت مهنتهُ في النظارة قاعة بثقب اوراق مذيّلة وربطها مع بعضها بخيوط حمراء وكان يشطّ احياناً في عملهِ فيحسدني على سهولة عملي . فوجد شعري مضحكاً واعجبهُ غير انه لم يخرج في المساء حتى اخذ يفتش عن المعاون واخبره بذلك . وفي الغد جاء المعاون باكرًا على خلاف عادته واستدعاني اليه ولوائح الغضب بادية بين عينيه وقال لي: باني ساكون بلا شك شاعرًا نحريرًا ولكني لا اصلح للخدمة في النظارة وصرفني شاكرًا خدماتي . وبينما انا منصرف رأيت رفيقي يترك ثقب اوراقه ويجلس مكاني لترتيب الاعداد

ولم يكن كسبي من النظارة سوى الزهيد ولكن بما ان العمل لم يكن يترك لي وقتاً لأسرف به راتبي تمكنتُ من ايفاء بعض ديوني . ثم عدتُ فوجدت ذاتي بدون عمل ولم يكن من يطالبني غير انه لم يكن لي من دخل ايضاً ومع ذلك لم آسف على ترك مكتب النظارة فقد قال لي المعاون باني اكون شاعرًا . فقلت في ذاتي : ان ذلك في الحقيقة هو ميلي فسأقف ذاتي في خدمة الأدب ولم أعُد لافكر بان اقيد نفسي في كل مهنة تعرض لي على السواء . وكتبتُ روايةً شعريّة ذات فصل واحد جعلتُ بطلها المعاون ذا النظارة الزرقاء وحملتُها الى مدير احدى جوقات التمثيل فقال لي : اني سأقرأها فاذا وافقتني ووجدتُ لك مساعدا على تمثيلها فلا بأس من ذلك ولكن يجب ان انبهك ان لديَّ الان ١١٧ رواية من نوعها يجب ان يصير تمثيلها قبل روايتك . فتركتهُ وذهبت مفكرًا بان اكرّس ذاتي لفرع من الادب يكون لي منه نفع اوفر . فاهتديتُ الى كتبيّ كان يطبع معجماً اشبه بدائرة المعارف . فاعطاني كلمتين لاكتب عنهما ما يجب . وكانت احداهما كلمة « سليمان » تبتدئ بحرف السين والاخرى تبتدئ بحرف الكاف . فكتبتُ عن الاولى مقالًا ضافياً طويلًا جمعتهُ من حيث تيسّر ذلك وكتبتُ عن الكلمة الثانية بضعة اسطر حسبما اقتضى معناها فنقدني عنها ربع فرنك . امّا المقال الاول الضافي الكبير عن سليمان فوعدني بدفع الاجرة عنه عندما يصل الى حرف السين (لأنَّ حرف الكاف قبل حرف السين عندهم

في الهجاء ) فسألته اين هو في حروف الهجاء فقال انه لم يزل في حرف الباء وبعزمه ان يكتب كل سنة عن حرفين من الهجاء فقط . فطلبت ان يعطيني عملاً يُنقذني ابرته في الحال فاعطاني بعض كلمات لاكتب عنها وهي تبدأ بآخر حروف الهجاء . فشكرته وانصرفتُ وفكري منشغل بما عساه ان يفيدني قوتي اليومي فرأيت ذاتي مضطرًا كما تقول العامة لتعليق لساني بالسقف . واني اظن انه لو جاءني في تلك الساعة مأمور لتنظيف الشوارع وعرَض عليَّ عملا لما تردَّدت رغم شهاداتي العلمية عن ان آخذ المكنسة والمِسْح وانضمّ الى مرؤوسيه . وجال بخاطري في تلك الساعة ان اذهب وآخذ محلًّا بقرب الجسر لتنظيف الأحذية مع كتابة تشير الى انَّ هناك احد متخرجي المدرسة في العاوم والمحاماة ينتظر كسب معاشه من جزّ صوف الكلاب . . .

وكان رأس السنة قد اقترب فاهتدى اليَّ بائع حُلوَيات وطلب مني ان انظم له امثالاً وحكماً يضعها في حلوياته فلم اعجز عن ذلك بفضل النقل وتبديل ما انقله ونظمتُ بعض قِطع للاعراس والولائم والولادات حسب الظروف

وكان هذا آخر عهدي بالشعر لانه لم يُكسبني خبزي واخذت اتأسف على ايام كنت فيها ارتب الاوراق في مكتب النظارة . وهذا الاسف ذكّرني بأني قد عملت للدخول في ذلك المكتب المتحوس استدعاء استلفتَ النظر لجمال كتابته فافتكرتُ في انه يمكنني ان اكون ناسخاً فطلبت ذلك وحصلت على مركز في احد مكاتب النسخ في غرفة ضيقة تفوح منها الروائح الكريهة فيها خمسة من النسّاخين الشيوخ ذوي اطواق وسخة وكان اثنان منهم ذوو شهادات علمية مثلي ومثلك . فكانت لي معهم على الاخص علاقات ودّيّة وكان احدهم بهيئة مهملة جدًّا لا يجيب مخاطبه الّا بياتين الكلمتين مبتسماً : « ان الشبيبة هذّارة » . وكان الآخر يقول دائمًا انه اكتشف على طريقة يمكنه بها ان يحصل على ثروة طائلة في همبورج غير ان نفقة الطريق كانت تنقصهُ دائمًا للسفر الى هنالك . فقضيت سنةً تقريباً في تلك الغرفة انسخ لبعضهم مذكّرات سفر او استدعاآت او حسابات واحياناً بعض روايات كانت تضجرنا اكثر من نسخ الحسابات

وبلغني في ذلك الحين موت احد اقاربي واني ارث منهُ زهاء اثني عشر الف فرنك — فتركتُ من ساعتي ذلك العمل . ولم اعلم كيف عرف حالاً ذلك الشيخ

صاحب الطريقة السهلى لادراك الثروة بذلك الخبر فأسرع اليَّ قائلًا: لا يمكنك ان تعيش من دخل ٥٠٠ فرنك سنويًا بل تعال معي لنذهب الى مبورج هنالك باتباع نصائحي تصير غنيًا وانا اكفل لك ذلك . فشككتُ اولا بالامر ولكنه اخذ يسحرني بربح الملايين حتى صرتُ اخيرًا اصغي اليه بطيبة خاطر فقال لي: «انك متوقد الذكاء ذو فطنة فيجب عليك ان تدرك كلامي» ثم اخذ يشرح لي طريقته وكنت ذا فطنة كما قال ففهمتُ ما اراده وذهبنا معًا الى مبورج واخذتُ ألعب متَّبعًا نصائحه فخسرت خلال اسبوع واحد زهاء سبعة آلاف فرنك ونيف . فقال لي: انك خسرت بخطائك ومخالفتك مشورتي وما إخفاقك هذا الَّا ليزيدني تمسكًا بطريقتي

فهززت رأسي وتركت هذا النصوح الغافل . غير اني عدت فلطفت من حدتي لان ما حصل قد فات وتعلمت على الاقل بان لا اشتغل باللعب في المستقبل . وبعد ما طلبت من ذلك الرفيق على غير جدوى بان يعود معي لانه كان صافي القلب رغم اوهامه رجعتُ الى باريس وحدي وهناك اخذت ابحث عما يوسعه ان يجعلني غنيًا . وبما انه كان لم يزل في جيبي خمسة اوراق قيمة الواحدة الف فرنك ووعدتُ ذاتي بان اكون متأنيًا في بحثي اكثر من الماضي وقلت: لن اقبل ان اكون مدرسًا باجرة ثلاثين فرنكًا ولن ارضى بان اكون ناسخًا ولن . ولن . . فيومًا ما سمعتُ احد الضباط يوصي مصورًا بان يعمل له رسمهُ قائلًا: «اني أعدّه لفتاة من بلادنا فاحذر من ان تكون هذه الصورة كثيرة الشبه بي لاني ارغب بان لا يعرفها اهلي» . فهذه القصة جعلت فيَّ الميل للتصوير كيف لا ونحن في عصر التصوير الشمسي . فصرت مصورًا واشتريت الادوات اللازمة واتخذت لي مأوى في احدى الشرفات فلم تسوء الامور في مبتدأها وكان لي الشرف بان اصور مجانًا كلَّ اصحابي تقريبًا ولكن لسوء الحظ ان علومي التي لم تُغنني فتيلًا حتى ذلك الحين اخذت تضرّ بي منذ ذاك بدلًا من ان تنفعني . ذلك اني اردت ان انتفع من المعارف التي اكتسبتها في الكيميا فازيد بذلك تحسين فنّ التصوير وبما انّي لم اكن غبيًا اكتشفتُ طريقةً محسنة وناديتُ بها ولكن كان احد المصورين قد سبقني اليها ونال امتيازها قبلي فاقام عليَّ الدعوى باختلاس حقه وربح دعواه فمقتُّ منذ ذاك التصوير وبعتُ ادواتي جميعها

وقد كنت في كل تلك المدة لم ازل على طريقة الرغد في معيشتي فكان يشقُّ

علي ترك بعض عوائد الرفاه فلم اكن لأرضى بهما كلّفني الامر بان البس ثوباً خلقاً او بان أعدّم النار في غرفتي ايام القرّ . امّا جيبي فكان لم يزل فيه بعد خسران الدعوى ونفقات العدالة زهاء ثلثة الاف فرنك وهو مبلغ زهيد غير كافٍ لتحقيق الاماني التي حلمتُ بها للوصول الى هناء العيش وخفضه فقال لي احد اصحابي يوماً : بيدك ثلاثة آلاف فرنك وانت متقاعس عن العمل ؟ ألا تعلم بانه يمكنك بهذا ان تحصل بسهولة على مدخول ستة آلاف فرنك ! فقلت له : لو بايكون ذلك بتربية الارانب . فقال : لا بل باللعب بالبورصة — فقلت اذا كان الربح في البورصة سهلاً بهذا المقدار فلماذا لا يُقبل جميع الناس على المضاربة فيها ؟ — فقال : لانّ قوماً من البلهاء يخافون . ثم قال : نعم يا صديقي ان بعضهم يؤكد ان في البورصة الخراب وما هذا وحقك سوى اشاعات روّجها نحن المضاربين لتنفير المزاحمين ولكيلا تفسد الصنعة بالكثرة . واخذ يشرح لي بأيّة عمليّة يمكنني ان العب واربح دائماً واعاد على مسامعي مراراً بانهُ ليس عليّ بان أجازف بشيء من مالي حتى اقتنعتُ اخيراً بصحّة ما قال وصرتُ من دُعاة البورصة اخطر مختلّاً في قاعة المضاربة بين قوم لهم من الاستقامة ما يُعرف عنهم !

فاسعدني الحظ مدة ثلاثة اشهر كنت اربح فيها كل يوم من خمسة عشر الى عشرين فرنكاً حتى سنحت الفرصة يوماً لتحقيق ارباح اوفر فدعاني صديقي ملحاً الى اغتنامها لان التصاعد في الاسعار كان مؤكداً . فلعبتُ آملاً بذلك وما عتّم ان صار هبوط هائل فخسرتُ مائة ليرة فأثّرت بي هذه الضربة ولم يبق معي سوى الف فرنك فاخذت أعمل الفكرة عن جديد في عملٍ ما — وكان ان استلفت نظري اعلانٌ على ورق اصفر كُتبت عليه هذه الكلمات : « يُطلب بعض مستخدمين بشرط فيهم حسن الهيئة والهندام » فقدمت ذاتي للمحل المعيّن وكانت هيئتي مرضيّة فأفهموني ما يجب عمله بان اخدم احدى المكاتب بترويج بيع الكتب . فهالني الامر اوّلاً غير ان بعضهم اكّد لي بان هذه المهنة تدرّ صاحبها وتكسبه المال الجزيل . فتأبطتُ يوماً إضبارة من الكتب وذهبت الى واحدٍ اعرضها للبيع فأوصد الباب بوجهي . ثمّ تهدّدني الثاني بالشكوى والسجن بسبب ازعاجه . اما الثالث فبعد ما تمكنتُ من الدخول اليه صرفني خالاً حتى انه سألني عند انصرافي اذا لم اكن سرقتُ من

المستقبل اذا لم تكن مالكاً ناصيته هو الشقاء بذاته . انك لو كنت من العمّال لما خشيتُ عليك من البؤس لان المجتمع الذي تعيش به يرأف بشديد المواعد اكثر من رجيح العقل وصاحب الصحافة والحجى . انك عالم وذكي وهذا ما يجعلني ان اخاف عليك الحياة لأن ما انت متّصف به ليس من الضروريات الاولى للمعيشة وقد كثر اليوم مَن هم كذلك . فأمعن النظر بهذا وأعمل الرويّة . وفي الختام استودعك الله

## أثران للشاعر الغزيري الخوري حنّا رَعْد في مدح فرنسة

* تذكار خميني ١٨٧١ — لما كانت السنة ١٨٧١ بعد حرب فرنسة والمانية ظنّ البعض انّ اللبنانيين اذ رأوا الدولة المدافعة منهم قد غلبها الالمان تراخوا بحبّها وعدلوا عنها . فزار حينئذٍ لبنان الفنصل الفرنساويّ روستان فكان له استقبال فخيم في كلّ الجهات واراد اهل لبنان باظهاراتهم الجليلة ان يبرهنوا عن ثبات حبّهم نحو فرنسة في السرّاء والضرّاء . ومن جملة ما انشد وقتئذٍ شعراء لبنان القصيدة الآتية للشاعر المُجيد الخوري حنا رعد الغزيري ل . ش

### حُبُّ لبنان لِدَولة فرنسا الفخيمة

حُبٌّ قديمٌ ثابتُ الاركانِ ... لِفَرَنسَ قام على ذُرى لُبنانِ
وغدا أَصيلًا في جَوارِحنا ... تَزداد جِدَّتهُ بكلِّ أوانِ
ولقد تمازج بالدِما في جسمنا ... كتَمازُجِ الأَرواحِ بالأبدانِ
حبٌ شرّفهُ فرَنسُ بن لُبنانِنا ... بدم الفوارس ارفع الأثمانِ
أفما تصفحتَ التواريخَ التي ... تُنبيكَ عن حربٍ على الصُلبانِ
اذ حاولَ الاعداء رفعَ هِلالهم ... فوقَ الصليبِ علامةِ الايمانِ
فهناكَ تنظرُ أنَّ اوّلَ زاحفٍ ... لخلاصِ سوريا بنو عُثمانِ
اضحت فرنسا امَّ كلِّ حَمِيَّةٍ ... مذكورةٍ في غرّةِ الأزمانِ
فتأَلّبت فُرسانُها وتقلّدت ... بمُهنّدٍ ومُثقّف وسِنانِ
مِنهم فريقٌ قد جَرَت فُلكُ بهم ... وطَوى الفدافدَ والصحارى الثاني
بَلَغَ الجميعُ الى اراضينا التي ... كانت باهل الجَوْر في غليانِ
لمّا رأى آلُ الفرنسيس الأُولى ... نالوا السباقَ بغلبةٍ ورِهانِ

الخصم يعثو مفسدًا في ارضنا ... حتموا عليه حملة الثعلبانِ
فتسابقت ابطالهم وتعاورت ... ايدي الكماة عواليَ المرّانِ
وتجاذبوا وتناجزوا مع مسلمٍ ... وتطاعنوا بمثقفٍ ويمانِ
كم سيدٍ بطلٍ همامٍ خلتهُ ... أسدَ الشرى في الحربِ والميدانِ
مازال ينخزُ في الصدورِ وفي الطلى ... ويُذيقُ اهل العيث كلَّ طعانِ
حتى تشتت شملهم متمزقًا ... وغدا الهلالُ بذلةٍ وهوانِ
كم من دماءٍ قد أُريقت في الوغى ... حبًا بلبنان وبالتطبانِ
ما لي أجدِّدُ غابرًا مع أنهُ ... في عامِ ستينَ وضوحُ بيانِ
إذ رامَ ملك الترك في لبنانِنا ... اعدامَ دين الحقِّ والسكانِ
طارت فرنسُ لنصرنا دون الورى ... ولطرد ذئبان عن الحملانِ
ملأت بواخرها البحارَ وارضنا ... مُلئت باجنادٍ لها فرسانِ
لولا فرنسا ما نجونا من ظُبى ... سيفِ العدوّ الساقلِ الختّانِ
منها لنا أصلُ الحيوة وقد غدا ... منّا لها الشكرُ بكل لسانِ
فاذا نسيناها فرنسا ساعةً ... فلتنسنا يدُنا بل اليدانِ
كيفَ التناسي وفينا كلُّ بديعةٍ ... جادت بها من غامرِ الاحسانِ
ظنَّ الخبيثُ بمكرهِ ألبابنا ... قد غيّرتها طوارقُ الحدثانِ
إذ من تبرقع وجهها بكوارثٍ ... بتنا بليلٍ حالك الالوانِ
كسدت تجارتنا وأحبط سعينا ... وظللنا في خوفٍ وفي رجفانِ
لكننا راجونَ عودًا احمدًا ... لفرنسَ مع عزٍّ ورفعةِ شانِ
ماذا الرجاء وقد رأينا نهوضها ... من عثرة وبدت بمجدٍ ثانِ
وفّت غرامتها ولنتْ شعثها ... وتفاضلت في طاعةِ الرحمانِ
إنَّ العدى ظنّوا بأنَّ نهوضها ... إذ ذاك ممتنعٌ من الإمكانِ
فالله أيّدها وأعلاها على ... رغم الاعادي بعيدهم والداني
إذ من فرنسَ الكونُ يرجو غوثهُ ... فلها بكلِّ المكرماتِ يدانِ
او ما رأينا انها مع خطبها ... بعثت اساطيلًا الى لبنانِ
نسيت كوارثها ولم تنسَ الأولى ... كانوا على وجلٍ من العدوانِ

حتى. ارتهم انها مع يونسها دوماً تقومُ بحق كلِّ ضمانِ
فليبقكِ المولى فرنسُ لدينا ولحفظ لبنانٍ من البرحانِ
ولك الدُّعا منّا على طول المدى تحيينَ تحيينَ الى الازمان

## وللشاعر الموسى اليه اثر آخر

### وهو ثناؤهُ على فرنسة اذ وافت لنجاة النصارى

بعد حوادث السنة ١٨٦٠

كُفَّ البكا وامسح عيونا تدمعُ واحفظ بقيّة مهجةٍ تتصدَّعُ
صبرا ولا تهلك اسىً وتفجّعا فلعلَّ سعدك في الطوالع يطلعُ
يا شرقُ امرك مذهلٌ او معضلٌ والقلبُ حيرانٌ لذاك وموجعُ
قد كنتَ كابدتَ المصائب جمّة حتى دهتك مصيبةٌ لا تردعُ
لبنانُ ما هذي الجماجم والدما ما للمنازل وهي قفرٌ بلقعُ
سوداء يُنزل بالقلوب سوادُها فكأنَّ نازلها الغرابُ الاسفعُ
ان كان ضاق بك الفضاء لنكبةٍ لا تيأسنَّ فَفضلُ ربّك اوسعُ
قد برقعَ الظلّامُ وجهك بالشقا لا كاد ان ينجاب هذا البرقعُ
قُرعت جوانبُ عرش ربك دعوةً صعدتْ لديهِ عن حشىً يتقطّعُ
وذبائح بالجَور فيك تقدّمت قُبلت ومنزلها المحلُّ الارفعُ
وأشمُّ عَرفُ المحرقات لانها بازاء مَقدسهِ الموقَّر تشفعُ
لمّا غدا مجدُ اسمهِ في بيتهِ عارًا فغار وقال: يكفي المدّعي
حتّام تفترس الذئابُ رعيّتي فقطيعيَ المختار أوشك يُقطعُ
ولقد اقمتُ لنصر شعبي ظافرًا بطلًا تخرُّ له الجهات الاربعُ
صحنا وكان الى فرنسا الصوتُ: يا نابوليونُ. أجابنا: لا تجزعوا
اني لَمُنجدكم وكاشف حزنكم برضى الالهِ فمن سواه يَمنعُ؟
يا شبلَ ليثٍ في فرنسا رابضًا وزئيرهُ في كل قطرٍ يُسمعُ
يا عاهل الدنيا الذي يُشكى لهُ صرفُ الزمان وان نهاه فيردعُ

طال البلا والنير صار باهظاً ... من ذا يُطيق النيرَ او من يخلعُ
جاد الغضنفرُ للعباد بنظرةٍ ... فارتدَّ قلبُ الجور منها يهلعُ
وثنى ودارَ كنسا بجيش جحفل ... فرأى العدوُّ فحار فيما يصنعُ
بجزائر اتت الثغورَ وزمجرت ... منها الرعودُ بها العداةُ تخشَّعوا
وكواسرٍ لا الهولُ في اوهامها ... هولٌ ولا الموتُ الذريع يروّعُ
فاذا سطت لا النارُ ترهبها ولا ... تحمي الجيوشُ ولا المدافع تدفعُ
منها الزؤاف ولم تكن يوماً سوى ال ... موت الزؤاف وكلَّ عاتٍ موقعُ
بمقدامها الشهمُ المجرَّب بالوغى ... يُوفورُ ترهبهُ الجيوشُ وتخضعُ
فالرأي ماضٍ في ذكاه وقاطعٌ ... والسيف امضى في يديه واقطعُ
تلك البحور على البرور طمَتْ ولا ... سدٌّ يصدُّ ولا حجاب يمنعُ
ليس الملا الا المراكبُ والمدا ... كبُ والقواضب والقنا والادرعُ
ثمَّ الروابقُ والمرادق والبنا ... دق والصواعق والمنيَّة تتبعُ
فتذكرتْ ارضُ الشآم وقائماً ... كان الصليب لواءها لو ترجعُ
والناس ما بين المخافة والرجا ... كلٌّ لما هو اهلهُ يتوقَّعُ
طلع الصليبُ فسُرَّ كلَّ عبادهِ ... ولنصره عينُ الأعادي تدمعُ
بسمت ثغورُ بلادنا لأحبَّةٍ ... هجروا فجلَّ بنا المصاب الافجعُ
سعداً ليوم بُشرت اعلامهُ ... انَّ الحيوة من المنيَّة اسرعُ
يومٌ تضاعف بالحديد ضياؤه ... فيه الاسنَّة كالاشعَّة تلمعُ
يومٌ بدا وعيوننا بنهاره ... بتطلُّعٍ وبليلهِ لا تهجعُ
لله درُّكِ يا فرنسا مركزاً ... للدين والدنيا اليك المرجعُ
فُقتِ الممالك مثلما للوكها ... قد فاق عاهلك الاعزُّ الامنعُ
لولاكِ لم يشرق نهارُ سلامةٍ ... فينا ولا زال الشقا المستفظعُ
يا مُنيةً عظمتْ كعظمة ربِّها ... هطلت فأمسكت الدما والادمعُ
عاشت بها الارواح بعد جنافها ... وغا أريجُ الشكرِ منها يسطعُ
بسناهما جيدُ البلاد مطوَّقٌ ... ويذكرها قلبُ العباد مرصَّعُ
لبَّيكَ يا ملكَ الزمان فانسا ... لك بالفدا قلوبنا والاذرعُ

الدعوة الأمة السويسرية فانها بعد تصويت الشعب الموافق اصبحت نهائيًا عضوًا عاملًا في العصبة وذلك منذ منتصف ايار سنة ١٩٢٠

ولكن ما هو موقف الدول المعادية اي النمسة والمانية وبلغارية وتركية والبلاد الروسية تجاه عصبة الأمم ؟ اما البلاد الروسية فليس فيها حكومة شرعية معترف بها من الدول فلا عجب اذا رُفض قبولها . اما الدول الباقية فان المادة الاولى من العقد تنص انه «لا يحق لها الدخول في العصبة وان يحق لها ذلك الا اذا اعطت ضمانات حسنة عن حسن نيتها في القيام بكل ما تعهدت به وقبلت ان تراعي دستور العصبة فيما يختص بقواتها وتجهيزاتها الحربية في البر والبحر والهواء وايضاً على شرط موافقة ثلثي اعضاء جمعية الأمم في قبول تلك الدول »

وقد استغرب فريق عدم قبول الدول المركزية وحلفائها في عصبة الأمم فقال بعضهم ان جمعية الأمم من اساسها ان تكون مؤلفة من كل الشعوب والا فانها تكون غير كاملة ولن تصيب الهدف الذي ترمي اليه وهو صيانة السلام في العالم اجمع وبالعكس فانها تبدو كحالفة لشعوب ضد شعوب . ولكن الجواب على ذلك سهل وهو ان غرض عصبة الأمم تحقيق وضمان حالة السلام ونشر مبادئ الحرية والعدالة والمحافظة على المعاهدات الدولية فكيف يجوز قبول دول برهنت باعمالها الهمجية انها تسعى دائمًا في تشويش ذلك السلام غير مكترثة بحفظ عهودها ومعاهداتها؟ وقد قال احد الكتبة فرانكليس (Frangulis) « ان فكرة الاتحاد والعيش بالالفة تستدعي وجود اعضاء متجانسين مدركين ولا يمكن القبول بينهم باعضاء لا تحدثهم النفس الا بالإنقضاض والافتراس » (١)

ولا جرم ان في ابعاد الدول المذكورة يُحدَّد ميدان عمل العصبة وذلك افضل من ان تكون تلك الدول عرقلة في طريقها بل مانعاً لأعمالها لأنه كما سنرى لا يُنفَّذ قرار من قرارات العصبة الا باتفاق الاراء فيكفي والحالة هذه من معاكستها فتتوقف كل مساعي العصبة الحسنة

لكن الاشد غرابةً من هذا هو ان الولايات المتحدة لم تشترك في جمعية الأمم . تلك الدولة التي بفضل رئيسها قد ظهرت عصبة الأمم الى عالم الوجود ابت بلسان

(١) مجلة الحقوق الدولية سنة ١٩١٦

مجالس شيوخهـا ان تدخل فيها وتنفوذ اعداء العصبة في الولايات المتحدة وهم الجمهوريون آخذٌ بالازدياد الامر الذي يدلُّ على ان دخولها لا يتمّ بالمستقبل القريب

ومن جهة اخرى يوجد امر يستلفت النظر وهو عدم دخول الفاتيكان. وبالحري البابوية في العصبة . وبالحقيقة يظهر ان ذلك قد قصده مؤسسو العصبة قصداً صريحاً لأنهم أَبَوْا الاّ ان يستعملوا في عقد جمعية الأمم كلمة « دولة » . وبموجب قواعد الحقوق الدولية لا يُطلق اسم دولة الّا على سلطة حاكمة على بلادها ومعلوم ان منذ سنة ١٨٧٠ قد نُزعت من البابوية كل سلطة زمنية وبذلك استحال دخولها في الجمعية لانها ليست بدولة . فلو كانوا استعملوا كلمة « سلطة » لكان الضدّ بالضد لانه ما من احد ينكر ان الكرسي الرسولي هو سلطة معنوية عظيمة الشأن . هذا من الجهة الشرعية . ونكتفي بالقول من جهة اخرى ان مؤسسي العصبة باعمالهم البابوية تلك السلطة التي قرّ لها اعداؤها واصدقاؤها انها اكبر سلطة معنوية في العالم ذات النفوذ الفعّال على اكثر من ٢٥٠ مليوناً من سكّان العالم المتمدّن قد حرموا جمعية الأمم من انجع الوسائط لتحقيق امانيها

وقد شاع خبرٌ مآله ان الكرسي الرسولي التمس من عصبة الأمم قبوله فيها وانها ردّت طلبه ردًّا باتًّا لكنّ هذا الخبر كان اشاعة محضة عارية عن كل صحّة وقد كذبهُ كاتم اسرار البابوية الكردينال كاسپاري تكذيباً رسمياً صريحاً . وقد شاع خبر اخر بهذا الشأن وهو ان المندوب الانكليزي في عصبة الأمم طلب اليها من تلقاء نفسه قبول الفاتيكان ولكن لم يتجاوز هذا الخبر حدّ الاشاعة . امّا عدد المندوبين فلكل دولة مندوبٌ واحد في عصبة الامم استعمارية كانت ام لا ما عدا انكلترة فان لهـا صوتاً كسائر الاعضاء ثم ان لكل واحدة من مستعمراتها كالهند وكندا واوسترالية وزيلاندة الجديدة وافريقية الجنوبية صوتاً آخر . والحجة في ذلك ان تلك البلاد ليست مستعمرات في حصر المعنى لان لها من الاستقلال وشكل الهيئة الحاكمة فيها المنفصلة عن نفس البلاد الانكليزية ما يكفي ان يجعل نفوذ السياسة الانكليزية المحضة بعيداً عنها ويجعلها اهلة ان تضاهي الدول المستقلّة القائمة بذاتها . تلك حجج على ما يقال اتخذتها انكلترة حتى تضمن سيادتها ونفوذ كلمتها في جمعية الأمم . فاذا افترضنا أنه اشكلت مسألة وتضاربت فيها الاراء فبديهيّ ان الارجح انحياز

مندوب اوسترالية ام كندا الى انكلترة فيقوى بذلك نفوذها وترجح كلمتها

هذا هو تشكيل جمعيّة الأمم حاليًا فيكون عدد اعضائها الاصليين مع الدول التي بقيت متحايدة في الحرب والمدعوة للاشتراك خمسة واربعين وفي المستقبل سيكمل العدد بقبول المانية والنمسة وبلغارية وتركيّة وكل الدول الجديدة ويبلغ الستين . فتمتدّ حينئذٍ سلطة عصبة الأمم على جميع انحاء المعمور

امّا تركيب العصبة الداخلي فهو على الصورة الآتية . تنقسم العصبة الى ثلاثة اقسام :

١) الجمعيّة العموميّة
٢) المجلس التنفيذي
٣) كتابة الاسرار

( فالجمعية العموميّة ) مؤلفة من مندوبي الشعوب المشتركة في العصبة . ولكل شعب ثلاثة مندوبين وصوت واحد . امّا صلاحيتها فهي غير محدودة والنصّ المتعلق بهذا الخصوص مطلق يفتح مجالًا للتأويل وقد اتفقوا على ان لها الحق ان تنصب هيئةً تحكيميةً لتبتّ المنازعات التي تقوم بين أمّتين ولتنتخب اعضاء المجلس التنفيذي غير الدول الخمس الكبرى ولها ان تدعو اي وقت ارادت اعضاء العصبة حتى ينظروا في المعاهدات التي اصبح تنفيذها خطرًا على السلام العامّ وان توافق باكثرية الاراء على كل تنقيح منوي ادخالهُ في عقد عصبة الأمم ولها ان تفسّر بنود المعاهدات الدولية الوعرة الفهم ونقط الحقوق الدولية الغير الواضحة تمامًا الخ

اما ( المجلس التنفيذي ) فقوامهُ الاساسي الدول العظمى الخمس وهي فرنسة وانكلترة والولايات المتحدة وايطالية واليابان وقد سموها الخمس الكبيرة ( Grands Cinq ) واربعة شعوب اخرى تنتخبهم الجمعية العمومية في الاوقات التي تراها مناسبة وهي الآن بلجيكا والبرازيل واسپانية واليونان ولكل من هذه التسع دول مندوب واحد وصوت واحد ولكن عند ما توضع على بساط البحث مسئلة تهمُّ دولةً ليس لها ممثل حاليًا في المجلس فلها ان توفد خصيصًا لهذه الغاية مندوبًا يدافع عن حقوقها في تلك المسئلة لا غير

المجلس التنفيذي هو العضو الأهم بل محور جمعية الأمم ولا يوجد في العقد بندٌ صريح يحدّد صلاحيتهُ كما هي الحالة للجمعية العمومية واكننا نرى من مطالعة كل العقد ان من وظائفه انتخاب كاتم الاسرار العام والمصادقة على تعيين كتمة الاسرار الباقين وتعيين محل اقامة الجمعية وتهيئة كيفية ومقدار تخفيض التسليحات وله ان ينصب هيئة تحكيمية تفضّ خلافاً وقع بين دولتين. وتدلّ هاتان الوظيفتان الأخيرتان صريحاً على اهميّة المجلس لانهُ لا وصول الى غاية عصبة الأمم الا بواسطتها

وقد بدأ المجلس باشغالهِ وهو يوالي اجتماعاتهِ في رومة وفي باريس وفي لوندرة وقد اتخذ بعض القرارات مثل عقد مؤتمر دولي في بروكسل للبحث في المسائل الاقتصاديّة والمالية وقد عيّن لجنة خصوصية لتقدّم له تقريرًا بخصوص التجهيزات الحربية وهو آخذ بالسعي في ان يُرجع الى اوطانهم الاسرى الالمان والنمسويين الذين لم يزالوا معتقلين في سيبرية وقد طلبت عصبة الامم بواسطتهِ الى الولايات المتحدة ان تقبل الوصاية على ارمينية الخ

وقرارات المجلس مثل قرارات الجمعية العمومية تُتّخذ باتفاق الآراء فاذا نقص صوت واحد فسد القرار. ذلك ما عدا القرارات التي تختص بالمعاملات فان رضى الاكثرية فقط يجعلها قابلة التنفيذ

قلنا ان جمعية الامم لها عضو ثالث وهو (كتامة الاسرار) فهي مثل المجلس قد ظهرت الى عالم الوجود وزنيسها الحالي هو انكليزي اسمهُ درومند (Eric Drummond) يمكن تغييرهُ وتعيين غيره بموجب قرار من المجلس وتصديق من الجمعيّة العمومية. وليست كتامة الاسرار عضوًا عاملاً وانما أُنشئت لتكون الصلة بين الدول من جهة والجمعية العمومية والمجلس من جهة اخرى. ويحقّ للرجال وللنساء على حد سواء ان يكونوا من اعضاء جمعية الأمم

## ثانياً صلاحيّة جمعيّة الامم

صلاحية جمعية الامم تنحصر في خمس نقط وهي :

١) تنقيص الجهاز الحربي لكل الدول. ٢) حل المشاكل الدولية بصورة سلميّة. ٣) استعمال الوسائط اللازمة لتنفيذ القرارات وحفظ دستور العصبة.

٤) اعطاء الوكالات على كل البقاع التي خرجت من تحت سيادة المانيا وحلفائها .
٥) جعل المعاهدات علنية

## ١ تنقيص التسليحات

من البديهي انه كلما قلّت التجهيزات الحربية عند امة خفت عندها فكرة محاربة غيرها . ومن البديهي ايضاً انه غير ممكن ان يطلب من امة ان تقلل من تسليحاتها اذا بقيت جاراتها مجهزة اهمّ من جهازها يجعلها ان تتمكّن من شن الغارة عليها متى ارادت . هذان امران نظر اليهما مندوبو مؤتمر الصلح من جهة واعتبروا من جهة اخرى انه لا بد من وجود قوة ما تحت امر السلطة الحاكمة في البلاد لتقدر ان تحفظ السلام الداخلي كما انه لا بد من ذلك للقيام بواجباتها الدولية اذا ما سنحت الحاجة

فبناء على ذلك ان المجلس التنفيذي مكلف ليهيّئ كيفية هذا التنقيص لكل دولة على حدة آخذا بنظر الاعتبار موقعها الجغرافي واحوالها الخصوصية فان الدولة المحاطة من كل جهة بدول اخرى تطمح الى الاستيلاء على بلادها يمكنها ان تجهز جيوشاً أوفر من جيوش غيرها . فأن فرنسة مثلاً ، وهي قائمة على حدود المدنيّة ، كما قال الرئيس ويلسن مهدّدة اكثر من غيرها فيجب ان يكون جهازها الحربي اهمّ من دولة اخرى مثل ايطالية او الولايات المتحدة

وبعد ان يهيّئ المجلس كيفية ومقدار هذا التنقيص يطرحه على الدول المشتركة في العصبة لتصادق عليه وبعد المصادقة يُفرَض نهائياً على كلّ دولة ان تلزم الحدود الموضوعة ولا تتجاوزها الّا برضى المجلس وهذا الرضى لا يتمّ الّا باتفاق الآراء بلا استثناء وهذا شيء صعب المنال نادر الحصول . ويجب في كل عشر سنين النظر مجدّداً في قرار المجلس هذا واذا اقتضى الامر في تنقيحه

اما الآن هل يتسنّى لجمعية الأمم ان تصل الى هذا المرمى وهو تنقيص تسليحات كل الأمم ؟ . هل يوجد عقبات وعوائق تحول دون هذه الرغبة هل يوجد دولة تأبى ان تنقص جهازها الحربي الى الحدّ الذي قرّ عليه قرار العصبة فتجبر حينئذٍ الدول المجاورة لها ان تحافظ على ما لديها من السلاح والجنود خشية منها وهلم جرّا ؟

وعلى م يستند المجلس في وضع قراره وهل يمكن ان لا يوجد دولة مغبونة

وذلك على عدم معرفة من طرفها ومن ثمَّ الا يحوز وقوع حادث ما قبل مضي العشر سنين يقلب الميزانية فتصبح دولة متفوقة على اخرى مع انها لم تتعدَّ الحد الموضوع. لنفترض مثلاً ان المانية اتفقت مع سويسرة بـ تتخلى تلك للاولى عن قسم من اراضيها ذي اهمية من الوجهة العسكرية فاصبحت هكذا فرنسة مهدَّدة من نقطة كانت تظنها غير معرضة للهجوم. ولو افترضنا ان تحديد التسليحات كان معتدلاً لا حظَّ فيه لدولة اكثر من اخرى أذلك يحفظ الموازنة التامة ويمنع كل تفوق دولة على اخرى سيما وان اخفاء المعدات الحربية وستر تهيئة قطع من الجيوش امر ليس بالمستحيل. وهل للعصبة ان تعلم ما توصلت اليه امة من اختراعات ابقتها مخفية عليها ان تستعملها بغتة فتضمن لها النجاح في هجماتها ؟

واننا نرى الان الأمم نفسها المشتركة في عصبة لا تبالي بتحديد التسليحات فانَّ بعضها قرَّرت ان تزيد عدد جيوشها عمَّا كان قبل الحرب. وحكومة الولايات المتحدة تطلب سنَّ قانون الخدمة العسكرية الاجبارية وتفاخر بأنهُ بعد بضع سنين سيكون لديها اسطول يضاهي اعظم اسطول في العالم. وكذلك بلجيكا زادت عدد وعدَّة جيشها. أيدلُّ هذا على حسن نية في تطبيق مبدئ العصبة. بينما يفكر المجلس في مسئلة تنقيص التسليحات وقد شكل في جلسته الاخيرة لجنة قوامها اختصاصيون من ضباط جيوش البحر والبر والهواء لدرس هذه النقطة

## ٢ هل المسائل الدولية بصورة سلمية

هذه هي النقطة الجوهرية الاساسية في كل جمعية الامم. يقول الحكماء انهُ طالما يعيش الآدميُّون على هذه الارض وطالما الانسان على فطرته المعلومة لا بدَّ من تنافر بين المصالح ومنازعات وكذلك يكون بين الامم وليست هي الا مجموع افراد. فيجيب ارباب السياسة انَّ الايام تقلَّبت والاحوال تطوَّرت فاصبح الفردُ مجبورًا على ان يلتجئ الى المحكمة ويطلب حقهُ منها لا من السيف فلماذا لا يكون الامر كذلك عند الامم ألم تصل الامم الى حدٍّ كافٍ من المدنيَّة ليحقَّ لها ان تتخلَّص من هذه الطريقة الهمجية وهي الحرب

ومن ثمَّ قد وضع عقد عصبة الأمم في هذا الصدد القواعد الآتية : اذا وقع

بين امم مشتركة في العصبة خلاف ما لا يجوز لها أبدًا حلّهُ بالسلاح بل انه يجب ان ترفعه الى هيئة تحكيمية تختارها حسبما شاءت اذا كان هذا الخلاف قابلا حلًا شرعيًا فهذه الواسطة هي التحكيم . واذا كان هذا الحل غير ممكن اي اذا استحال فضّهُ استنادًا الى القوانين الدولية والمعاهدات السابقة فانه يُلتجأ الى الوساطة . والهيئة المتوسطة تكون اما المجلس التنفيذي نفسه اما الجمعية العمومية . قد نووا بخصوص التحكيم ان ينشئوا محكمة عدلية دولية دائمة وقد شُكلت لجنة لدرس هذه المسألة

واذا نظرنا الآن في مفعول هاتين الواسطتين لمنع شبوب الحرب فلا بدَّ من تقديم بعض الملحوظات . فلنفترض انه قد رُفع من طرف المانية وفرنسة لدى المجلس خلاف بينهما ولم يتوفق المجلس لوضع قرار اتفقت عليه كل الآراء . فبما ان قرارات عصبة الأمم ليست معتبرة اذا لم تتّفق عليها الاراء فيكون الخلاف هذا بين فرنسة والمانية اصبح غير قابل حلًا ما سوى الحرب . ولنفترض انهُ لم يرضَ الفريقان بحكم المحكمة او انهما ليسا في جمعية الامم او ان فريق طلب ان يرفع الخلاف لدى هيئة تحكيمية والفريق الثاني ابى ذلك فما ان الحرب تنشب في كل هذه الاحوال ولا جرم ان هذه الاحوال ليست بالنادرة . وخلاصة القول ان كل هذه الوسائط ليس لها مفعول بنفسها وانه اذا عزمت دولة على محاربة اخرى فلديها وسائط شتى — ونصّ المعاهدة نفسه يوفّر لها كثيرًا منها — توصلها الى غايتها بدون ان تستوجب معاقبة من طرف الدول الأخرى

### ٣ الوسائط لتنفيذ قرارات جمعية الامم وحفظ دستورها وقوانينها

تلك الوسائط تظهر الى حيز العمل اذا عبثت دولة من الدول المشتركة في الجمعية باحدى تعهداتها وهي المنوه عنها في البنود ١٢ و١٣ و١٥ من عقد الجمعية فمثال ذلك ان امة شنّت الغارة على غيرها بدون ان ترفع الخلاف الى هيئة تحكيمية ام بدون ان تلتجئ الى الوساطة او اذا حاربت خصمها قبل مضي ثلاثة اشهر على قرار المحكّمين او المتوسطين الخ فبهذه الاحوال تعدّ الدولة هذه كأنها فعلت فعلًا عدائيًا ليس فقط نحو خصمها بل نحو جميع الأمم الأخرى اعضاء العصبة فتقطع جميعها

حالاً مع تلك الأمة المعتدية كل علاقاتها التجارية والمالية وتمنع كل علاقة بين رعاياها ورعايا الدولة الخائنة وبعد ذلك تشهر عليها الحرب وتتعهد بأن تسهل بكل ما يوسعها الحركات الاقتصادية والعسكرية مثل السماح بمرور الجنود المتوجهة ضد العدو العمومي وبكلمة اوضح تتعهد كل الأمم بمحاربة كل امة لا تحترم تعهداتها

قلنا «تتعهد الأمم» ولكن ما الذي يرغمها على المحافظة على تعهدها اذا وجدت في الحياد صلاحاً ؟ ما هي الواسطة الناجعة اذا ابت دولة ان تشترك بهذه الحرب مثلاً اذا هاجمت المانية فرنسة فما الذي يجبر الدول الأخرى على مساعدة فرنسة لاسيما اذا كان لهذه الدول مصالح شخصية تمنعها عن معاداة المانية ؟

وقد رأينا مؤخراً عدم فاعلية هذا التعهد فان العجم وهي من اعضاء العصبة قد استغاثت بالعصبة عندما هجمت عليها الجنود البولشفية فما كانت النتيجة ؟ التأمت جمعية الأمم وتوالت الاجتماعات لتجد منفذاً تتصل به من تعهدها وبانتظار النتيجة ذهبت دولة العجم فريسة البولشفية

## ٤ اعطاء الوكالات على كل البلاد التي انفصلت عن الدول المركزية وحلفائها

تلك البلاد وهي مستعمرات المانية في افريقية الشرقية وافريقية الجنوبية والكامرون والتوغو وكل البلاد التي انفصلت عن المملكة العثمانية وهي سورية والعراق وارمينية

وأسُّ فكرة الوكالات هذه هو ان تلك البلاد لها الحق مبدئياً بالاستقلال ولكنها لم تزل قاصرة فشبهوها بالأفراد فكما ان الافراد قبل رشدهم يعيَّن لهم وصاة فكذلك تلك البلاد بما انها لم تصل بعد الى حد من الرقي والمدنية يسمح لها ان تحكم نفسها بنفسها فأن عصبة الأمم قررت انها هي مكلفة بتدبير شؤون تلك البلاد لغاية بلوغها الرشد . ولكن بما انهُ لا يتسنى لجميع الدول القيام بهذا العمل بالتعاون سوية فانها ( اي عصبة الأمم ) تقيم وكيلاً عنها يكون وصياً على كل بقعة من هذه البقاع الدولة التي تجدها موافقة من حيث رقيها ومداخيلها وموقعها الجغرافي وهي مكلفة بالقيام بامور البلاد القاصرة واعطائها الارشاد اللازم لتقدر

ان تصل الى الغاية المومى اليها وهو الرشد التام حيث يجب على الوصي حينئذٍ ان ينسحب ويترك البلاد حرة كما يترك حر الشاب البالغ الواحدة والعشرين من عمره. وفي مدة الوصاية لا يكون الوصي مطلق اليدين يفعل ما يشاء ويحكم كيفما اراد بل ان عليه ان يقدم سنويًا الى الموكل اي عصبة الأمم تقريرًا مبينًا فيه اعماله وكفالته

ولا تكون الوكالة متشابهة في كل البلاد المذكورة بل ان شروطها تختلف مع درجة الرقي التي موجود فيها القاصر اي البلاد المشار ذكرها. فان الوكالة لا ريب تكون اوسع واشد في الكامرون وافريقية الجنوبية واخف والطف في سورية وارمينية حتى ان عقد عصبة الأمم نفسه في بحثه عن تركية يطلب ان تؤخذ بنظر الاعتبار تمنيات تلك الشعوب في سورية والعراق وارمينية فيما يختص بتعيين وصاة عليهم

والآن لننظر في حقيقة هذه الوصايات وما هي حقيقة فكرة تأسيسها وما الفرق بينها وبين الفتوحات والاستعمارات السابقة

ليت شعري ما الفرق بين السلطة الانكليزية القائمة في المستعمرات الالمانية القديمة والسلطة الموجودة في المستعمرات الانكليزية الاخرى؟ ما الذي يفرق بين البلاد المستولى عليها بعد انكسار المانية والبلاد المستولى عليها قبلًا؟ لماذا يعتبرون الاولى مستقلة مبدئيًا والثانية مستعمرات محضة؟ بل ما الذي يضمن لاهالي تلك البلاد القاصرة انها ستكون حرة يومًا ما؟ من الذي يضع حدًا لهذا العقد وما هي العلامات الدالة على ان تلك الشعوب اصبحت راشدة وصارت أهلًا لان تحكم نفسها بنفسها؟ اهي السلطة الوصية اي المستعمرة؟ فاذ كان الامر كذلك لا امل لاستقلالها. اهي جمعية الأمم؟ ولكنه لا يوجد نص يخولها هذه الصلاحية واذا افترضنا ان لها هذه الصلاحية فمن الذي يجبر الدولة المستعمرة على اخلاء البلاد وبأي وسائط؟

والحق يقال ان بعض الأمم «المتمدنة» لم يزل يخالجها حب الفتوح والاستعمار أما رأينا مثلًا انكلترة اتخذت تلك الكلمات مثل «وصاية» و «قصر» و «حماية» واشباهها كحجاب تستتر به هذه العواطف اذ رأت كل الشعوب الراقية والدانية تائقة الى الحرية والاستقلال. ولعمري ان طبيعة الانسان لم تتغير من الوف السنين فان الرومانيين الاقدمين كانوا عندما يفتحون بلدة ويفقدونها استقلالها وحريتها يلقبونها

«حرّة» او «حليفة». فعسى ان لا تكون الالفاظ الجديدة كثيرة لبعض المطامع

## ثالثاً لمحة تاريخية في جمعية الامم

بمقتضى المادة ١٨ من عقد جمعية الأمم يجب على كل معاهدة او اتفاق دولي يعقد في المستقبل ان يسجل حالاً في كتامة اسرار العصبة وهذه يجب عليها ان تذيعه في اقرب وقت ممكن في جريدة عصبة الأمم الرسمية التي ستنشأ عن قريب ولا تصبح المعاهدة او الاتفاق اجباريًا لكلّ من الفريقين الّا اذا سُجلا . وهم يؤمّلون بهذه الواسطة اجتناب الاتفاقات السرية التي طالما سببت الحروب والتي لم يكن لها المفعول السيئ الّا لانها بقيت مخفيّة

## ٦ لمحة تاريخية في جمعية الامم

جمعية الأمم ليست كما يخال لاوّل وهلة شيئ مبتكر جديد ابتدعه الرئيس ويلسن ولم يخطر ببال احد من قبله بل انها وجدت من زمن مديد وابوّتها ليست راجعة الى رجل اميركي كما ستري

ان فكرة جمعية الأمم قد تطوّرت فكانوا في طورها الاول — وذلك في عهد الرومانيين — يعنون بها حياة الامم متحدة في راحة وسلام تحت سيادة امّة واحدة. وهكذا فهمتها الثانية فانها كانت تؤمل جمع كل الشعوب تحت سيطرتها. هذه هي جمعية الامم حسب الفكرة القديمة اما الآن فانهم يعنون بجمعية الامم الاتفاق بين جميع الامم الحرّة لضمان حرية واستقلال كل واحدة منها وحفظها من كل تعدّ . فالفرق بين هاتين الفكرتين لا يخفى شاسع اذ بينما نرى الاولى ترمي الى سيطرة امّة واحدة على امم اخرى نرى الثانية ومبدأها الاساسي منعُ سيادة امّة على اخرى بل انها لم تظهر الى عالم الوجود الّا بعد تهيّج العواطف القومية الوطنية . فاننا في بحثنا هذا نترك الاولى وشأنها ولا ننظر الّا في جمعية الأمم مثلما نفهمها حاليًا فنقول : ما خرجت الانسانيّة من حروب دامية طويلة الّا بذلت جهدها في ايجاد طريقة في اجتناب الحروب المستقبلة كيلا تفجأها مرةً ثانية . فمن جملة تلك الوسائل كانت عصبة الأمم . واول بزوغ فكرتها كان في فرنسة . فان كاتباً افرنسيًا اسمه امريك كروسي ( Emeric Cruci ) قد فكر سنة

١٥٢٣ ان يوطد حالة الصلح بالطريقة الاتية وهي ان يتألف مجلس مركب من سفراء كل الدول المستقلة مهمتهُ ان يحلَّ سلمياً كل المشاكل الدولية وشرط ان يحلف كل رؤساء الدول يميناً في ان يحترموا وينفذوا كل ما يقرره هذا المجلس باكثرية الاراء وان يشهروا الحرب على كل امة لم تذعن لتلك القرارات

وقام بعد كروسي في خاتمة حروب الدين الشهيرة التي خضبت وجه اوربة بالدماء سولي ( Sully ) وزير ملك فرنسة هانريكس الرابع فنصح ملكه وجميع ملوك زمانه ان يؤلفوا عصبة من خمسة عشر ملكاً في درجة واحدة من القوة والسعة ينوب عن كل واحد منهم مبعوثان يؤلفون مجلساً له الصلاحية في ان يحكم وينفض كل خلاف يقع بينهم ويتعهد كل هؤلاء السلاطين بأن يحاربوا كل واحد منهم لا يتبع قرارات هذا المجلس

وفي ختام حرب الثلاثين سنة عام ١٧١٣ ادَّعى الكاهن دي سان بيار انه يوجد وسائط « بسيطة فعَّالة » على قوله لتوطيد السلام في اوربة فقال انَّ على ملوك اوربة ان يعقدوا بينهم محالفة يضمنون بموجبها بعضهم بعض ضد كل اعتداء خارجي . اما المشاكل الدولية التي تقع بين هؤلاء الملوك فانهم يتعهدون في ان لا يحلُّوها بالسلاح بل ان يطرحوها على جمعية عمومية مؤلفة من جميع تلك الحكومات سماها هذا الكاتب مجلس السلام فتفضُّها مسالمةً اما بصورة التحكيم واما بصورة الوساطة . اما تنفيذ قرارات هذه الجمعية فكلف به جيش عمومي دولي . فيرى القارئ ان فكرة تشكيل جيش كهذا لم تطرق الا على ذهن هذا المؤلف

وفي سنة ١٨٧٩ اي بضعة اعوام بعد حرب استقلال الولايات المتحدة رأى الفيلسوف الانكليزي بنتام (Bentham) انه يجب لايجاد السلام تشكيل محكمة عالمية مفوضة بالقضاء في كل الاختلافات الدولية ولكنه رأى ايضاً انهُ لم يكن ممكناً آنئذٍ ايجاد وسائط فعالة لتنفيذ ما تقررهُ هذه المحكمة

هذه هي اراء الاقدمين ولا بد للقارئ ان يلاحظ ان نقطها الاساسية النظرية لا تفرق كثيراً عن التي هي الآن ركن عصبة الامم الحالية مثل التحكيم والوساطة وتأليف جمعية من ممثلين لكل الدول وتنفيذ القرارات بالسلاح عند الضرورة

ولكن بقيت الحالة كما هي نظريات بدون تطبيق وبقيت الاماني اماني دون ان

يتحقق منها شيء بل توالت الحروب عديدة شديدة هائلة

واذا اقتربنا من زمننا الحاضر لم نحرم من رجال فكروا في عصبة الأمم لصيانة السلام فأن السياسي الافرنسي لاون بورجوا (Léon Bourgeois) قبل الحرب ببضع سنين وضع كتاباً سماه "عصبة الأمم" رسم فيه لهذه العصبة الخطط الاتية: ١ التحكيم الاجباري لكل مشكل قابل حلاً شرعياً. ٢ الوساطة في كل المشاكل الغير قابلة حلاً كهذا. ٣ المحافظة على النظامات الدولية وتنفيذ القرارات بفضل جيش مركب من جميع الدول للاشاة الجيوش والتجهيزات الحربية لكل الدول

وفي نفس مدة الحرب سعى رئيس الولايات المتحدة السابق مستر تافت واسس جمعية سماها "الجمعية لتوطيد السلام" (League to enforce peace) احتوى برنامجها على كثير من النقط الاساسية التي وضعته بعدئذ عصبة الأمم. وهنا لا بدّ من تقديم هذا الملحوظ ان هذه الجمعية تأسست قبل ان يفوه الرئيس ويلسن بكلمة بخصوص عصبة الأمم لا بل انه سنة ١٩١٦ عند انعقاد جلسة الجمعية لتوطيد حالة السلام السنوي رضي ببرنامجها وصادق عليه بدون تحفظ ولم يجاهر ويلسن بافكاره الا في اواخر سنة ١٩١٦ في رسالته الى الشعب الروسي

ومن سنة ١٩١٥ توالت الاجتماعات والمداولات في اميركا وفرنسة وانكلترة ومحورها مسألة عصبة الأمم وما ستكون في المستقبل عند انعقاد الصلح

قلنا وبينّا ان فكرة عصبة الأمم ليست بجديدة ولكن هل ذلك يمسّ بشيء فضل الرئيس ويلسن؟ كل يعلم ان امر تشييد النظريات وبسط الافكار الواسعة لهو امر سهل في اغلب الاحيان وتحقيق تلك النظريات خصوصاً في مسئلة عملية كهذه. نظراً للموانع والعثرات التي تقوم عند ما يقتضي تطبيق نجاحها فشرط النجاح في العمل اكثر من النجاح في النظر. فاذاً ان الرئيس ويلسن كان فضله عظيماً اذ انه اقدم بكل جرأة على تطبيق هذه الافكار فطبّقها وسعى في تذليل كل العوائق التي حالت دونها فذللها وذلك امر لا جدال فيه ان لولا رئيس الولايات المتحدة وهمته لما كانت عصبة الأمم ظهرت الى حيز الوجود

والآن بما ان جمعية الأمم قد برزت الى الحياة فما ترى يصيبها منها وهل لها ان تطبق ما وضع من المبادئ السامية وما سيوضع من القرارات المتعددة؟

لا ريب في ان جمعية الأمم بمجرد وجودها لا تقدر ان تمنع الحروب والشرط الاساسي هو ان تكون روح المسالمة منبثة في الشعوب نفسها لأنه كما رأينا سابقاً مع وجود عصبة الأمم لا يصعب على امة عزمت على مهاجمة غيرها ان تفعل ذلك ولا يوجد واسطة فعالة حقيقة لمنعها . ويكفينا ان نذكر تأييدا لهذا القول مثال الحكومة في بلادها فانه مع وجودها وسهرها الدائم على الأمن ومع ما لديها من الوسائط التي ليس لعصبة الأمم مثلها بالنسبة فمع ذلك نرى الجرائم ترتكب والجنايات تقترف في كل انحاء تلك البلاد . وقد قال احد الكتبة الاختصاصيين في المسائل الدولية : « لا ندحة من وجود شعوب ضارية مفترسة كما انه لا بد من وجود افراد أثمة مجرمين . ولو توفر لدى عصبة الأمم كل الوسائط التي تنقصها الآن فلن يمكنها ان تزيل عن بعض الشعوب فطرتهم الهمجية الضارية » (١

والشرط الاساسي الثاني هو انه يجب على اعضاء الجمعية ذاتهم ليستخدموا صلاحيتها بنية حسنة وان لا تفتكر امة من الأمم في ان تتخذها واسطة لبسط نفوذها ولضرر غيرها فلا تسعى انكلترة مثلاً لاستعمالها كآلة لمطامعها الاشعبية التي قال القانوني لافور (Le Fur) : « نجاح جمعية الأمم موقف على تركيبها ونظامها الاساسي اقل مما هو على الروح التي بها ستستعمل اعضاء العصبة هذا النظام » (Facere juste et justa)

وفي نفس عقد جمعية الأمم لا بدَّ من ملاحظة كثير من النواقص فكما رأيناه سابقاً من عدم كفاءة فيما يختص بتحديد التسليحات وبالتحكيم والوساطة ووسائل تطبيق مبادئ الجمعية وتنفيذ قراراتها لهو من الأمور التي تمنعنا عن الثقة التامة في مفعولها . وزد على ذلك ان الأمم نفسها المشتركة في العصبة ليست واثقة بها فأن فرنسة من بعد امضاء العقد لم يهدأ لها بال الا بعقد اتفاق خاص مع انكلترة والولايات المتحدة تعهدت به الدولتان بعضد فرنسة فيما اذا هاجمتها المانية . فلو كانت فرنسة معتقدة واثقة ان عصبة الأمم ستمنع كل حرب في المستقبل ولو لم يحالفها ريب في الدول المشتركة في العصبة جمعاء بأنها لا تخف لمناصرتها عند وقوع الاعتداء عليها لما احتاجت الى اتفاق مع انكلترة واميركة فقط ! والعائق الكبير هو هذا المبدأ ان

(١ Revue de Droit Intern., Oppenheim

قررات العصبة ليست قابلة التنفيذ ما لم تتَّخذ باتفاق الاراء. فيكفي ان تقوم دولة واحدة بالمعاكسة فتوقف القرارات ويتعذر تطبيقها . وامر المعاكسة في مسائل دولية تتضارب فيها المصالح امرٌ على ظنّي لا بد منه

ولكنا اذا كنا نرى في عقد جمعية الأمم نواقص كثيرة فأن المادة ٣٦ منه لتخوّل الدول الحق في تنقيحه وتقويم نواقصه متى ارادت . ومن جهة اخرى اذا كان يستحيل تطبيق كل المبادئ حرفياً فيوجد امل كبير في انها ستجيء بالفعول الحسن واذا الحروب لم تمنع بتاتاً فانها ستحدَّد . فتنقيص الجهاز الحربي ولو كان غير كامل والخوف من هجوم كل الدول على الدولة الناقضة عهودها — وان كان غير اكيداً — لهما حاجزان كبيران لوقوع كثير من الحروب والمجازر البشرية . وخلاصة القال ان جمعية الأمم لا تمنع قطعياً كل الحروب بل الأمل وطيد في انها ستنقص عددها وكفى ذلك تحقيقاً لآمالنا

# الصهيونيَّة

## ماضيها حاضرها ومستقبلها

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

كثر القال والقيل في هذه الآونة الاخيرة عن الصهيونيَّة حتَّى كادت مسئلتها تُعتبر كاحدى المسائل الكونيَّة التي لا بُدَّ من حلِّها بالقريب العاجل . هي القضيَّة التي تحوم حولها الصحافة وكتبة العالمَين هي المهمَّة التي تشغل بال عالم السياسة فألفتت اليها نظر جمعية الأمم ومجلسها الاعلى فما هي يا تُرى الصهيونيَّة ؟ ما ماضيها . ما حاضرها . ما مستقبلها ثلثة اسئلة عرضها علينا احد القرَّاء فحاولنا ان نجيب عليها بوجيز الكلام

### ١ الصهيونية وماضيها

الصهيونيَّة نسبة الى صهيون احدى تلال اورشليم التي كان حصَّنها اليبوسيُّون

قبل الاسرائيليين ففتحها داود الملك سنة ١٠٥١ ق م وجعل فيها مقامه بعد ان شيّد له فيها بلاطاً عظيماً والمباني الفخيمة فعُرفت بمدينة داود . ثم اتّسعوا في تعريفها فدلّوا بها على اورشليم كلّها . والمراد اليوم بالصهيونيّة عصبة اليهود الساعين في انشاء مملكةٍ لذوي جلدتهم يدعونهم من حيث تفرّقوا تحت كلّ كوكب ليجدّدوا في حاضرة اورشليم بل في كلّ حدود فلسطين ما تمتّع به اجدادهم قبل السيد المسيح من الدولة المستقلّة والملك الخاصّ

وان سألت متى نشأ هذا الفكر في عقل اليهود . اجبنا انّ الصهيونيّة كما هي متألقة اليوم من جماعات اليهود حديثة الانشاء لكنّها قديمة ضمناً فانّ اليهود بعد ان فتح طيطس عاصمتهم سنة ٧٠ م ودمّر هيكلها وابنيتها وبدّد من نجا من اهلها من السيف والاستعباد لم يزالوا يوجّهون بنظرهم الى مدينة قدسهم مؤملين الرجوع اليها عاجلاً او آجلاً

وما لبثوا ان شمّروا عن ساعد الجدّ فجمعوا القوّات وجيّشوا الجيوش تحت قيادة مسيحهم « بَر كوكب » وفتحوا اورشليم وغيرها من المدن لكنّ القيصر ادريان ارسل العساكر لمحاربتهم فظفروا بالثائرين وقتلوا بَر كوكب وأبعد اليهود عن اورشليم تحت طائلة الموت (١٣٥م)

وقام بعد ذلك في توالي الاعصار عدد عديد من المسحاء الكذبة يبلغ عددهم نحو السبعين فخدعوا اليهود واستفزّوهم حتّى اوقعوهم في تهالك جمّة وكانت نهايتهم جميعاً الاضمحلال والفشل

وبقي اليهود متفرّقين وقد نالوا من قياصرة الرومان بعد ادريان ثمّ من الامبراطرة النصارى عدّة امتيازات خفّفت عنهم وطأة الذلّ دون ان يُسمح لهم بدعوة الغرباء عنهم الى ملّتهم . وانّما اذنوا لهم ان يقيموا لهم في طبريّة رئيساً ملّياً يدعونه بطريركاً من نسل داود على ما يزعمون من ابناء الربّان هلّل كان يدبّر امورهم ويجمع كلمتهم ويعيّن ربّانيهم ورؤساءهم فيؤدون له الاعشار ثمّ توارث بنوه رئاسته الى سنة ٤٢٩ حيث مات آخرهم بلا عقب

على انّ ملوك الروم رأوا خطراً في غوّ اليهود واتّساع ثروتهم واجحافهم بحقوق العامّة بالمقامرات والربى الفاحش والمعاملات الجائرة كما فعلوا أيّام قدم كسرى انوشروان لمحاربة

سورياً وفلسطين فتشددوا عليهم وقيدوهم بقوانين صارمة وربما ثار عليهم الاهلون انتقاماً من سوء تصرفهم في املاك غيرهم وفقاً لتعاليم تلمودهم القائل في فصل بابا بثرا وفي سفر حيكريم (ج ٣ ف ٢٥) « ان أملاك غير اليهود تعتبر كالمال المتروك الذي يحق لليهودي ان يمتلكها » وان « الله قد منح اليهود السلطة على مقتنيات وحياة كل الشعوب »

ففتحت هذه المظالم في القرون الوسطى باباً واسعاً لمناهضة اليهود في كل انحاء المعمور في الشرق في الممالك الاسلامية وفي الغرب في الممالك النصرانية وقد بلغ بغض اليهود في قلوب الجميع مبلغاً كاد يستأصل شأفتهم لولا الكنيسة وارباباً فانها دافعت عنهم في مجتمعاتها وانقذتهم مراراً من مصادرات وسيف اعدائهم . وكان الاحبار الرومانيون في مقدمة المحامين عنهم فافرزوا لهم في رومية العظمى حياً لا يُنتهك حماه . وقد اقرّ اليهود بفضل الباباوات . قال الزنبي اسحق صموئيل احد مندوبي مجلس الأمة في فرنسا في خطاب القاه في مجتمع رؤساء اليهود السنوي سنة ١٨٠٦ :

« ان الاحبار الرومانيين استنادا الى مبادئ الادب المقدسة قد حموا اليهود المضطهدين والمنفيين من بلاد اوربة المختلفة ومنحوا لهم دولتهم . وعملهم فعل ارباب الكنيسة الذين دافعوا عن حقوقهم في عدة بلاد . والتاريخ يعلمنا ان القديس غريغوريوس الكبير جعل اليهود تحت كنف حمايته في سائر العالم المسيحي في القرن السابع . وفي القرن العاشر حال اساقفة اسبانيا دون الشعب الذي كان قصده ذبح اليهود فشكرهم البابا اسكندر الثاني على صنيعهم . وفي القرن الحادي عشر يعود الفضل في حماية جماعات اليهود في كلرمون واوزس الى اساقفة تلك الجهات . وفي القرن الثاني عشر منع القديس برنردوس الصليبيين من التعرض لليهود والتعدي عليهم . وهكذا فعل الحبران الاعظمان اينوشنسيوس الثاني واسكندر الثالث . وفي القرن الثالث عشر قام للدفاع عنهم البابا غريغوريوس التاسع بازاء دولتي انكلترة وفرنسة وانذر بالحرم من يتعصبهم على التنصر . وقرّب البابا اقليمس الخامس اليهود وساعد التعلم والتهذيب . وفتح لهم اقليمس السابع مدينة افيون ليتجئوا اليها من مضطهديهم في سائر اوربة »

على ان الكنيسة مع ردها الظلم عن اليهود كانت ايضاً تصون اولادها من اذاهم مادياً وادبياً فوضعت لذلك قوانين مملوءة حكمة دونتها في دستور حقها القانوني

وقد بقي اليهود في خمولهم وانحطاطهم الى زمن الثورة الفرنسوية فنالوا من إعلانها بحقوق الانسان ان يعاملوا كبقية مواطنيهم بالاستحرار التام وجاهروا بسرورهم واخذوا من الحرية والمساواة والاخاء نصيباً وافياً

ولكن هيهات ان يرضى اسرائيل بالمساواة والاخاء وهو يعدّ الارض ملكاً له وبقيّة الامم «من زرع البهائم» (التلمود ف. يبموث) حتّى انهم يعتبرون نجسة الآنية التي يأكل فيها الاجنبيّ . ومن ثمّ جعل اليهود في القرن التاسع عشر يطمحون بالنظر الى ما هو فوق ذلك اذ رأوا في امتزاجهم ببقيّة الناس ما يُفقدهم وجدانهم لأنّ الموسوي يبقى موسويا لا يستطيع الاختلاط بغيره . وهذا ما قرّرتهُ مجامع الحاخامين السنويّة سنة ١٩١٠ في لندن حيث قالوا: « ان الخطر العظيم على امّتنا الزواج مع غير اليهود الذي يعرّضنا الى فقد جنسنا واصلنا »

فاعتزال اليهود عن بقيّة البشر وعُنجهيّتهم الغريبة زادت نفور الناس عنهم حتّى أبت كثير من الكليّات والجمعيّات ان ترقّيهم الى ما كانوا يؤملونهُ من الرئاسة والتدبير

فلمّا حبط املهم في التفوّق على سواهم بهذه الطريقة عمد الألوف منهم الى المهاجرة الى نواحي اميركة الشماليّة والجنوبيّة والى بريطانية العظمى وكانت كانا الدولتين تبوّق وتزمّر باطلاق الحريّة التامّة لبني اسرائيل فدخلهما العدد العديد منهم حتّى صاروا يزاحمون العناصر السكسونيّة والوطنيّة فأحسّت اميركة وانكلترة بالخطر وأوصدتا ابوابهما في وجه المهاجرين الاسرائيليين منذ عشر سنوات

لكنّ المهاجرة مع تخفيفها لنكبات اليهود لا تقضّ المشكل اليهوديّ وتعرّضهُ ايضاً للامتزاج بغيره من الامم وهذا كما قلنا لا يرضى بهِ المتحمّسون من الموسويين . ومن ثمّ طلبوا لهم طريقة اخرى اجدر واحقّ برغائبهم

## ٢ الصهيونية في حاضرها

انسلاخ اليهود عن سائر الدول بانشاء مملكة خاصّة قائمة بذاتها هو الحلّ الذي وجدهُ زعماؤهم لفكّ تلك المعضلة . ولكن ليت شعري اين تقام تلك الدولة الجديدة ؟ كيف انشاؤها ؟ كيف تدبيرها ؟ وكيف يحشد اليهود اليها من كلّ انحاء المعمور وقد اربى اليوم عددهم على ١٣ مليوناً من النفوس فاي ارض كافية لتضمّهم؟ تلك مشاكل اوقفت كثيرين من ذوي الخبرة الذين كدّوا ذهنهم وأسهروا عينهم في ازالتها

فلمَّا كان النصف الثاني من القرن التاسع عشر جعل رؤساء اليهود يشكلون الشركات ويؤلفون الجمعيَّات للبحث في هذا الشأن . فانتسب البعض من اصحاب هذه الشركات الى صهيون واتخذوا اسمها كشعار يذكرهم بمجدهم القديم ويسوّل لذوي جلدتهم الالتفاف حولهُ

وكان فكرهم في اوَّل الامر مقصورًا على وجود مشبع من الارض في العالم القديم او الحديث يستطيع بنو اسرائيل ان يجدوا فيهِ الوسائط لنهضة أمَّتهم وترقيتهم دون اختلاف مع سواها . فلمَّا صرفوا اليهِ نظرهم بعض البقاع الواسعة الارجاء في افريقية ولا سيَّما اوغندا والكنغو وجنوبي مرَّاكش والقيروان وفي آسية بلاد ما بين النهرين وفي اميركة بلاد المكسيك وفي اوقيانية بلاد اوسترالية . امَّا فلسطين فكانوا ليؤمّلوا توطُّنها طالما يحكم عليها الاتراك وانَّما اخذوا يهتمُّون بمن فيها من ذوي جنسهم الذين لم يكونوا اذ ذاك يتجاوزون العشرة الآلاف ويساعدون مدارسهم الاسرائيليَّة

ثمَّ تألَّفت بعد ذلك جماعات الاتحاد الاسرائيلي وشبيبة صهيون واحبَّاء فلسطين والجمعيَّة الفلسطينيَّة العموميَّة وجمعيَّة الاستعمار الفلسطيني مع عدَّة مصارف انشئت تلك الجمعيَّات لخدمة مصالحهم وترويج اغراضهم . وهي وان لم تكن لتقصد في الظاهر التملُّك على فلسطين الا انَّها كانت تمهد السبيل الى ذلك فانَّها كانت تسعى في توفير عدد المهاجرين اليها من شمالي اوربَّة وهم اليهود المعروفون بالاشكنازيم ومن جنوبها المدعوّون بالسَّفرديم فبلغ عددهم بعد حين خمسين الفًا بنيف وكلُّهم اخلاط من صعاليك روسيَّة والنمسة والمجر والمانية واسبانيا ومن يهود اليمن والعجم والكرج ومرَّاكش فكانت تلك الجمعيَّات تمدُّهم بالمال لتشييد احيائهم في اورشليم والاماكنة المجاورة ولابتياع الاملاك واقتناء العقارات في انحاء فلسطين

وظهر في تلك الحقبة احد انصار اليهود الدكتور ناودور هرتسل المولود في عاصمة المجر سنة ١٨٦٠ كان هذا رجلًا نشيطًا واسع المدارك تعاطى مدَّةً حرفة الصحافة وتمثيل الروايات ثمَّ خصَّ نفسهُ بخدمة بني جلدتهِ اليهود فألَّف التآليف وخطب الخطب والقى المحاضرات وتجشَّم الاسفار ودخل على دهاقين السياسة وارباب الدول يتعطَّفهم على أمَّتهِ وينفخ في قلوبهم عواطف الحنان والرحمة على بؤس اليهود

ويستنهض همّتهم لمساعدتهم حتّى اقنع كثيرين من ارباب سياسة انكلترة واميركة بان يحققوا آمالهم ويفرزوا لهم ارضاً تضمّهم . فسُرّ الدكتور هرتسل وسعى باخراج هذه النيّات الى حيز الوجود في اي بلادٍ كانت ولم يوجّه فكرهُ خصوصاً الى فلسطين اذ كانت نيّتهُ سياسيّةً اكثر منها دينيّة

وممّا انتجتهُ هيئتهُ وقتئذٍ من الحركة بين زعماء اليهود انهم اوسعوا نطاق جمعيّاتهم الصهيونيّة وانشأوا مؤتمرًا سنويًا يجتمع فيهِ مندوبو اليهود المتفرّقين واركانهم للبحث في امورهم وكان اوّل مؤتمر عُقد لذلك في مدينة بال في سويسرة سنة ١٨٩٧ ولم تزل منذ ذاك الحين تتوالى المؤتمرات في اوقاتها الى عامنا الاخير

وكان في مقدّمة ابحاث تلك المؤتمرات تعيين مكان موافق لتحقيق امـاني الصهيونيين واستقلالهم التامّ فمنهم من رضي بقارة افريقية ومنهم من طلب جهات العريش وواحات العرب . الّا انّ جمهور اليهود وعامّتهم الذين رضعوا مع اللبن حب مدينة قدسهم أبوا الّا فلسطين وقاعدتها اورشليم مركز اجدادهم . ولم تزل غايتهم تعلو وتمتدّ حتى نفذ في قلوب كثير من المؤتمرين

ومات في تلك الاثناء تيودور هرتسل (١٩٠٤) وقام بعدهُ بعض زعماء اليهود منهم مكس نوردو وداود ڤولفسون و ج . و . كانّ والدكتور جاكوبسون وغيرهم اقتفوا آثارهُ وفكّروا في تحقيق اماني قومهم في فلسطين فاستنفدوا الوسع في توجيه جالية اليهود الى القدس ونواحيها فعمّروا لهم الانزال والاحياء حول المدينة حتى قارب عدد اليهود في ضواحي اورشليم مئة الف من النفوس

على ان السلطان عبد الحميد بعد ان تساهل مدّة مع زعماء اليهود خاف ان يجعلوا فلسطين مستعمرةً اسرائيليّة فوضع لهجرتهم حدودًا ربّما تجاوزوهـا بالرشوة وتأليف قلوب المأمورين العثمانيين . ثمّ وقع في تموز سنة ١٩٠٨ الانقلاب العثماني وكان لليهود فيهِ السهمُ المعلّى سواء كان بواسطة الاسرائيليين المنتمين الى الشيعة الماسونيّة او بواسطة اليهود المرتدّين الى الاسلام المعروفين بالدونمه او المامين فأمّاروا منهُ خيرًا واستبشروا بالفوز القريب واتّخذوا لهم علمًا خاصًّا واخذوا يسعون لدى اعضاء جمعيّة الاتحاد والترقي وكان من جملتهم ثلاثة يهود كاراسو وكوهن وفرنجي وعدّة من المامين بينهم جاويد بك والدكتور ناظم وطلعت بك وغيرهم

على انَّ هذه المساعي لم تأتِ وقتئذٍ بالنتيجة المرغوبة لأنَّ قسماً من جمعيَّة الاتحاد والترقي قامت وقعدت اناكسته حتَّى انَّ احد زعمائها كاظم نامي بك صرَّح يوماً في احدى جرائد انكلترَّة انَّ نوايا الصهيونيين لا يستطاع تحقيقها طالما يكون الامر في ايدي الجمعيَّة المذكورة . وكان كثير من اليهود انفسهم لا سيَّما اليهود القديم يناصبون هذا الفكر لما وراء ذلك من الاخطار على امَّتهم

تلك كانت وقفة اليهود الصهيونيين سنة ١٩١٤ اذ انتشبت الحرب العموميَّة ونال اليهودَ شيءٌ من اضرارها وان غلب ما ربحوهُ منها اكثر ممَّا خسروا كألوف عادتهم في مثل هذه الكوارث

## ٣ مستقبل الصهيونيَّة

كان لدخول الجنرال اللنبي في اورشليم سنة ١٩١٧ اي وقع في قلوب المسيحيين وذكروا فتوحها سنة ١٠٩٨ على عهد غودفريد دي بوليون والصليبيين وما كانوا ليظنُّوا ان سيزاحمهم في الحكم عليها العنصر الصهيوني الذي اخذته لفتحها هزَّة طرب طار لها فرحاً لعلمهِ بمعاهدات سرِّيَّة بين « ملوك المال » من الاسرائيليين ورؤساء الدولة الانكليزيَّة . وما لبث ان ظهر الخفيّ وذاع الامر المكتوم لا سيَّما عند ما كتب الوزير المستر بلفور الى اللورد روتشيلد في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ ما تعريبهُ :

أيُّها اللورد روتشيلد العزيز

يسرُّني ان اوجه الى جنابك من قبل حكومة جلالة الملك جورج الاعلان الآتي الموافق لرغائب اليهود الصهيونيين والذي عُرض على الوزارة فصادقت عليهِ . انَّ حكومة جلالتهِ تنظر نظر الرضى ان يُتَّخذ في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي وهي ستفرغ كلَّ وسعها توطئةً لتحقيق هذا الامر وذلك دون ان يُلحَق أذىً بما لبقيَّة الطوائف التي في فلسطين من الحقوق المدنيَّة او الدينيَّة ولا تحسّ حقوق ومصالح اليهود نفسهم في سائر البلاد . هذا واني أكون لجنابكم ممنوناً ان لفتم هذا الاعلان لجمعيَّة الاتحاد الصهيوني

صدر من وزارة الخارجيَّة في ٢ ت ٢ ١٩١٧

فلا شكَّ ان هذه القرار اثَّر في شتات يهود العالم كتأثير قرار كورش ملك فارس لمَّا اصدر امرهُ الى زَرُبَّابل ليعود الى اورشليم مع اليهود الذين كان جلاهم نبوكدنصر الى العراق قبل سبعين سنة . وهذه ثلاث سنوات هاج فيها الصهيونيُّون

وماجوا ليخرجوا الى حيز الوجود امانيهم فانفتحت امامهم ابواب فلسطين فتراهم يتقاطرون اليها زرافات ووحداناً فيدخلونها كصاحب البيت الى بيته

فهذا ما هيّج عواطف المسلمين والنصارى فرفعوا صوتهم احتجاجاً على هذه المعاملات وقدّموا المعاريض الى عصبة الامم والى دول الحلفاء والى مقام الحبر الاعظم فرأت انكلترة ان تطيّب نفوسهم نوعاً في اوائل السنة الحاضرة بما بأنهم الجنرال بولز المدير العام لفلسطين من القرارات الآتية التي نشرتها الجرائد :

اولاً – صادق الحلفاء وفي مقدمتهم اميركة وفرنسة على منح شيء لليهود من الحقوق في فلسطين . ووافقوا ايضاً على ما فاه به المستر بلفور وهو ان تكون فلسطين وطناً قومياً لليهود بشرط ان لا تمس مصالح الوطنيين الدينية والمدنية والسياسية بشيء

ثانياً – ستجعل انكلترة الهجرة الصهيونية ضمن حدود وشروط ومراقبة شديدة كي لا تضر هذه الهجرة بحالة البلاد الاقتصادية

ثالثاً – ستحافظ الحكومة كلّ المحافظة على بقاع الفلّاحين فلا تدع الناس يبيعون املاكهم الّا اذا مسّت الحاجة الى ذلك

رابعاً – ستدير البلادَ حكومةٌ قوميةٌ وصيةٌ تقيم ميزان العدل وتحافظ على حقوق الناس فلا يستبدّ القوي بالضعيف

خامساً – لا يقصد الحلفاء ولن يقصدوا ان تكون في البلاد حكومة يهودية . واما الذين يحكمون البلاد فهم ابناؤها وستقرّر الاحكام بموجب قوانين يسنّها المجلس الذي تنتخبهُ الأمّة بالاكثرية والحكومة آخذة الآن بإعداد ما يكفل حقوق السكان . وستدرّب الحكومة ابناء البلاد من اليوم على الحكم الذاتي وذلك بان يكون عدد كبير منهم في الوظائف السامية يشرفون على الاحكام تحت ادارة حكّام ذوي اخلاق راقية ونيّات صالحة

هذه التقارير خلقت نوعاً اضطراب اهل فلسطين اكثرهم لم يروا حتّى الآن تطبيقها على احوالهم بل جاء الفعل مخالفاً للقول . كفى برهاناً على ذلك اقامة السير هربرت صموئيل مندوباً اعلى على فلسطين وهو اسرائيلي يدعوه اليهود علانيةً بامير اسرائيل . وهو اوّل حاكم يهودي على فلسطين منذ بركوكب زعيم ثورة اليهود في القرن الثاني المسيح السابق ذكره

فما تعيّن لتدبير سياسة فلسطين حتّى كان لتقليده اسوأ وقع ليس فقط بين سكّان فلسطين بل بين الانكليز مواطنيه من كاثوليك وبروتستانت وقدّم حاكم بيت لحم وحيفا وغيرهما من مأموري الانكليز استعفاءهم . واعلن قداسة الحبر الاعظم مع عدد لا يُحصى من الجمعيّات الكاثوليكيّة ومن اعيان الكاثوليك والبروتستانت

استياءهم من تسليم فلسطين الى الدّ اعداء الدين النصرانيّ وقد نشرت جريدة البشير مؤخرًا خطاب الكردينال بورن في مؤتمر الكاثوليك الانكليز في ليفربول في ٣٠ تموز المتحرم وفيه ما فيه من بيان خطر وضع فلسطين تحت رحمة اليهود

وقد اتت الانباء الاخيرة من اهل فلسطين تثبت انَّ خوف النصارى والمسلمين من وضع اليهود يدهم على اورشليم وفلسطين ليس هو وهماً لا طائل تحتهُ فانَّ المراكب وقطارات السكّة الحديديَّة غاصّة باليهود القادمين اليها حتّى يظنّ من يمشي في بعض شوارع المدينة المقدّسة انهُ في مدينة يهوديَّة محضة . وقد صار معظم الاعمال التجاريَّة بين ايديهم هناك كما انَّهم اصبحوا يشغلون اكثر المراكز في دوائر الحكومة . وترى اللغة العبرانيَّة منتشرة في كلّ انحاء اورشليم حتّى اصبحت احدى لغات الحكومة الرسميَّة . وقد اتخذوا لهم كعلم الكوكب ذا الستّة الاشعّة كما انَّهم يتغنّون بنشيد وطنيّ خاص . ومع كون الحكومة منعت بيع الاملاك وشراءها تراهم يتوسّلون كلّ الوسائل ليقتنوا الاملاك ولو بأغلى الاثمان

وان سألنا الآن السائل عن رأينا في مستقبل الصهيونيَّة وهل يقوى الصهيونيُّون فعلا على اقامة دولة يهوديَّة مستقلَّة في فلسطين

جوابنا على هذا انَّهُ لا نكير ان الصهيونيين يحاولون انشاء موطن لليهود في فلسطين وليس موطناً فقط بل دولة قائمة بذاتها مستقلَّة بتدبير نفسها . لكنَّ هناك من العقبات ما يحول دون تحقيق هذا الامل كما سترى من الملحوظات الآتية :

١ هيهات ان يتّفق كلّ اليهود المنبثين في انحاء المعمور على نيَّة الصهيونيين . فانَّ المثرين منهم والاعيان والربّانيّين والحاخامين واليهود السفرديم يرون في مناصبهم وامتيازاتهم في كثير من الدول ما يفضلونهُ على كلّ مركز يمكنهم الحصول عليهِ في فلسطين

٢ لا بل يحصل لهم من ذلك اضرار جسيمة فانَّهم اذا قامت لهم دولة مستقلَّة وجب عليهم الانتماء اليها ومن ثمَّ تعدّهم الدول الاوربيَّة كاجانب فيخسرون جنسيَّاتهم التي حصلوا عليها وناهيك بهِ من مخسرة بالغة

٣ ان دولةً كافية لتضمّ كل اليهود تحتاج الى املاك واسعة واراضٍ مخصبة تكفي لقوت اهلها ومن المعلوم انَّ اراضي فلسطين لا يمكنها ان تقوم بمعاش اهلها

اليوم فما قولك اذا اتاها بضعة ملايين من السكان اكثرهم فقراء يعيشون من حسنات قومهم

٤ ثمَّ انَّ املاك فلسطين معظمها اليوم في حوزة المسلمين والنصارى أفيرضى اصحابها ببيعها وهي من تليد اموالهم الموروثة من اجدادهم . فاذا تخلّوا عنها قُضي عليهم بالهاجرة وترك اوطانهم العزيزة

٥ وان افترضنا انَّ اليهود يحصلون على قطع من الارض وارزاق كافية لمعاشهم لا بُدَّ لهم من فلاحتها وزراعتها والقيام بأحوالها . واليهودي كما لا يخفى يفضل التجارة على الفلاحة والارتزاق بالبيع والشراء على الكدّ بحراثة الارض والنشاط في استغلالها وتحسين تربتها . قال الماجور الانكليزي غولد سميث اليهودي يذكر المهاجرين الى فلسطين : « انهم في ادنى درجة من الرقي والنجاح » وقال ناردور ريناخ اليهودي الاثريّ الشهير عن يهود اورشليم في تاريخ الاسرائيليين ( ص ٣٧٤ ) : « ان يهود اورشليم في عصرنا قد جمعوا بين الكسل والجهل المطبق والتعصب الذميم »

٦ وان امكن اليهود ان ينفوا الوطنيين من فلسطين الّا انَّ هناك امكنة مقدسة لا يتخلّى عنها النصارى والمسلمون مهما دُفع لهم من الاموال الطائلة فيبقى بيتهم شاؤوا ام ابوا الرهبان والكهنة والكنائس والجوامع وهم يعدُّون كلّ ذلك رجساً في اعينهم وكشظاة في حلوقهم فلا يمكن ان يخلو لهم الجوّ كما يحلمون

٧ وهب انَّهم ينشئون لهم دولة فهذه الدولة على رأيهم سياسيَّة ودينيَّة معاً فمن حيث انها سياسية كم ينبغي لهم من المساعي الجبّارية لعضد دوائرها فاين ملوكهم واين وزراؤهم واين جيوشهم وعددهم واين ... واين .. فكم يحتاجون الى الوسائط ليقوموا بمهمّاتها وهم خلوٌ منها كما هو معلوم . ومن حيث هي دينيَّة لا بدَّ لهم من تجديد الشريعة الموسوية فيقدّمون الضحايا المفروضة من موسى الكليم . وانَّما الضحايا لا يسوغ تقدمتها الّا في الهيكل فيحتاجون اذاً الى تجديد هيكل سليمان الذي في مكانه اليوم الجامع الاقصى . وهيهات ان يسمح المسلمون بتسليمه الى اليهود . ودون الهيكل لا يقوم قائم للدين اليهودي

٨ قلنا انَّ اليهوديّ يرتزق غالباً بالتجارة دون الزراعة والصناعة فليت شعري ان أُفردت له دولة كيف يستطيع ان يرتزق بالتجارة وهو لا يجد في فلسطين ما به

قوام التجارة من المحصولات المتنوّعة والصادرات المهمّة . التي يمكنهُ بها ان يعامل بقيّة البلاد المتمدّنة . وزدْ اليه مزاحمة ابناء ملّته المتاجرين مثله . ومن المعلوم انّ ثروة اليهود ينالونها من مواطنيهم المختلفين عن مذهبهم . قال احد كبار السياسيّين : « انّ اليهود اشبه بالنباتات المتطفّلة التي لا تستطيع ان تعيش وتنمو الّا ملتفّة حول غيرها من الاشجار فانْ حُصروا في قطر واحد عمدوا الى اكل بعضهم البعض »

٩ وسوف يزيد اعتزالهم عن بقيّة البشر باتخاذهم العبرانيّة الحديثة كلسان دولي وهي لغة فقيرة قلّما يمكن ترقيتها وتطبيقها على الامور الحاليّة والتقدّم العصري مع ما يدخلها من اللهجات الغريبة والاستعارات المنقولة عن الروسيّة والالمانيّة والعجميّة . فيحرم بها اولادهم من كلّ نجاح ورقي ويبقون في ذلهم وانحطاطهم القومي

هذه بعض العوائق التي سوف تقوم في وجه دولة صهيونيّة مستقلّة ولا نظنّ انهم سيقوون على تذليلها مهما انفقوا من القناطير المقنطرة ومهما تمهدت لهم الامور . ما لم يُقل بقرب نهاية العالم وشك وقوع اليوم الاخير

اما مدّعاهم انّ لهم حقوقاً في ملك اورشليم وفلسطين وانّ الرئيس ويلسن وجمعيّة الامم وضعوا هذا المبدأ بان يُعطى كلّ قوم من الاستقلال ما ينطبق مع سالف تاريخهم وعنصريّاتهم فانّهُ من المبادئ الملتبسة التي لا يمكن تحقيقها الّا باثارة كلّ الاهواء الباطلة والمطامع الاشعبيّة والفتن والحروب . ثمّ انّ فلسطين سكنها قبل اليهود شعوب أخرى لم ينقطع حتّى اليوم نسلهم من الفينيقيين والكنعانيين وغيرهم فضلاً عمّن جاء بعدهم واستوطنوها فصارت لهم موطناً بقوّة قانون الاستحلال فلا يجوز لغيرهم ان يدّعوا ملكها بعد القرون المتمدّدة

والافضل لليهود لو عقلوا ان يسعوا في تهذيب احداثهم وتربية ابنائهم على اصول التمدّن العصري مع المحافظة على سُننهم الدينيّة الموافقة لتعليم الاسفار المقدّسة ونبذ الخرافات التي شُحن بها تلمودهم ومشناهم وزُهَرُهم وغيرها من كتب الربّانيين ويعيشوا مع سواهم بالوفاق والحبّ المتبادل في فلسطين وغيرها فلعلّهم ينالون بذلك من الرقي ما يفضل على تصييرهم اورشليم وفلسطين والرجوع الى ازمنة خلت واحوال ادبرت لن تعود وليس عَوْدها بالاحد ملتهم والله المرشد الى الصواب

# حوادث عين ابل

## رواية شاهدة عيانية الاخت كليمنتين خياط

بلاد بشارة مقاطعة كبيرة يدعوها الفرنج بجليل العليا (Haute Galilée) واقعة في قضاء صور تمتدُّ من شمالي شرقي عكَّا الى نهر القاسمية جنوباً فشمالاً يحدُّها البحر غرباً وقضاء مرجعيون شرقاً . فيها السهل والوعر الحزون والبطون الاودية والجبال يبلغ عدد نفوسها نحو ٣٥،٠٠٠ منهم مسلمون معظمهم من اهل الشيعة ومنهم نصارى اكثرهم موارنة ثمَّ روم كاثوليك دون الاورثذكس يسكنون في نحو مائة قرية

ومن اهمّ قرى النصارى هناك قرية عينْ ابل الواقعة شرقي صور يبلغ عدد اهلها نحو ٢٠٠٠ اكثرهم موارنة وبينهم ايضاً روم كاثوليك وكلهم ذوو تقى وصلاح . ولراهبات قلبي يسوع ومريم في عين ابل دير أنشئ منذ نحو خمسين سنة وكثيراً ما يتردَّد اليها المرسلون اليسوعيُّون لاقامة الرياضات التقويَّة وقد انشأوا فيها المدارس لأحداث الصبيان والفتيات فاصبحت بذلك بلدة عين ابل من ازهر قرى بلاد بشارة ماديًّا وادبيًّا حتَّى حسدها على ازدهارها اهل الشيعة المقيمون في القرى المجاورة لها . ولمَّا جرت الحوادث الآتي ذكرها كان موجودًا في دير عين ابل اربع راهبات رئيستهنَّ الاخت الفاضلة كليمنتين خيَّاط الحلبيَّة الاصل وعنها نروي ما يلي

## سوابق محمد المتاولة على عين ابل

كانت عين ابل لموقعها قريباً من قرى المتاولة الشيعيين معرَّضةً لمساوئهم الاَّ انَّهم كانوا غالباً يكتفون بسرقة مواشي اهلها ونهب غلَّاتهم واهانة من يلقونهُ منهم في طريقهم . وكان العينبليُّون بوصاية كهنتهم وعقلائهم يجتنبون كل سبب من شأنهِ ان يحرِّك غيظهم لينجوا كلُّهم من توسُّط الدولة التركيَّة التي ترغب في هذه المشاجرات لتربح من الظالم والمظلوم معاً بالرشوة « والبخاشيش » . وبقيت الحال على

ذلك الى دخول الحلفاء سنة ١٩١٨ في بلاد الشام فتنفّس النصارى وأمّلوا النجاة من نير عبوديّة جيرتهم الثقيل

ولمّا كان العشر الثالث من تشرين الاوّل من العام الماضي بلغ الى عين ابل خبر قدوم القائد المغوار الجنرال غورو الى بيروت وما لقي فيها من الحفاوة والاكرام. فاجتمع اهل البلدة واتّفقوا على ان يقاسموا نصارى بيروت ولبنان افراحهم ففي عصر النهار المعيّن لمظاهرتهم اجتمعوا في ساحة كبيرة قدام حارة مارون وطانيوس شباط فتوارد الناس اليها بكل بهجة ونصبوا العلم الفرنسويّ وبازائه صورة الجنرال المطرّزة بيد الراهبات تحدق بها الزهور والحلي وتكتنفها الرايات الفرنسويّة ثمّ اخذوا يتلون القصائد والتقاريظ ويتغنّون بالاناشيد ويطلقون البنادق والاسهم الناريّة مرحّبين بقدوم الجنرال ومهنئين الدولة الفرنسوية على انتصارها. وانصرف الجميع بعد ساعات وقلوبهم طافحة بالفرح ثمّ انشأوا جمعية لنشر الحماية الفرنسوية. ولم يدروا انّ تلك المظاهرات سوف تكون قريباً سبباً لعداوة المتاولة وتجلب الدمار على بلدهم

فما مرّ علينا بضعة ايّام حتّى صارت الاخبار المكدّرة تتوارد علينا وتقلقنا. فانّ متاولة بلاد بشارة اتّفقوا مع عشائر بدوان الحولة وعصابات المنطقة الشرقيّة واخذوا يهجمون على قرى النصارى فينهبون ويسلبون ويقتلون ويحرقون. فاغاروا في تشرين الثاني على مرجعيون وصفد البطيخ وطرسمحات وبارون وديردغاية وقانا الخ. وكانت نيتهم بعد هذه القرى الصغيرة ان يزحفوا الى اكبر منها ولا سيّما عين ابل ثمّ العواصم وهم يقولون: «ستذبح اهل هذه القرى في سوق بنت جبيل كما تذبح الخراف»

فما بلغت هذه الاخبار مسامع اهل عين ابل حتّى عوّلوا مع نصارى القرى المجاورة على اخذ الاحتياطات لنفوسهم فأوفدوا قوماً منهم الى ارباب الحكومة في صور ينذرونهم بما يتهدّد النصارى من الشرور فلم يجدوا اذناً صاغية وانّما نسبوا خوفهم الى الاراجيف الباطلة واعطوهم اسلحة قليلة للدفاع عن قريتهم فلم يطمئنّ بالهم ورجعوا الى وطنهم واستعدّوا بما لديهم من النشاط والهمّة لمقابلة العدوّ فابتاعوا ما امكنهم من الذخائر الحربيّة واخذوا يمرّنون شبّانهم على فنون الدفاع واستعمال الاسلحة فكانت الشبيبة تلبّي دعوة مدبّريهم بكل غيرة وتسهر ليلاً مع نهار على حراسة البلد حتّى في ليالي القرّ في فصل الشتاء.

وهم لعلى ذلك اذ اتاهم في احد الايام خبر تتويج الامير فيصل ملكاً على سورية مع رسالة الى اهل البلدة ورد فيها الامر ان يجمعوا كلّ الاسلحة وينصبوا العلم الشريفي . فكان جوابهم انهم يهنئون الامير بسموّ مقامه لكنهم لا يمكنهم دفع سلاحهم ولا رفع العلم الّا بامر حاكمهم الفرنسوي في صور . واذ طلب منهم حاملو الرسالة ان يدفعوا ٤٠٠ ليرة لملك سورية اجابوا : ليس لدينا مال نؤدّيه . فرجع الوفد على اعقابهم يتبدّدونا بالحرب . فاستعدّ الناس للحرب رجال ونساء صغار وكبار كلّ على ما تبلغ اليه يده من حجارة وعصي الخ . فلما لبثوا ان عادوا وهم من اشقياء المتاولة لينهبوا ويقتلوا لكنّهم فرّوا هاربين لما رأوه من استعداد الاهلين وخروجهم الى محاربتهم بكل شجاعة وانّما ساقوا ما وجدوه من المواشي خارج البلدة

## حملة الشبعين على عين ابل

بقينا في هذه الحال شهرا كاملا وكلّ يوم تأتينا الانباء بفظائع اهل الشيعة في كلّ جهات القضاء وهم يتّخذون بازاء الحكومة كلّ طرائق المكر والخداع ليغرغوا في النصارى كنانة بغضهم لا سيّما بعد اجتماع شيوخهم وزعمائهم في الحجير في ٢٤ نيسان اذ صمّموا النيّة على مهاجمة القرى التي لم يجسر المتاولة بعد ان يُلحقوا بها ضررًا وخصوصاً عين ابل ودبل ورميش وعلما لبسالة اهلها . فاستعدّوا لذلك سرًّا لئلّا يجدوا من يقوم في وجههم واشاعوا انّ ذلك الاجتماع لمحاربة عصابات العربان وغيرهم

فلمّا كانت ظهيرة يوم الاربعاء ٥ ايّار ما نظرنا الّا الوفا من المتاولة يسيرون من بعيد الى جهة عين ابل وقد سبقهم بريدٌ مع رسالة يقولون فيها : «لا بأس عليكم انا الجمع الوافد ابناء سبيل وقصدنا ان نمرّ عندكم لنذهب الى مزار النبي يوشع ثمّ نحارب عصابات الاشقياء» . فلعلم اهل ابل ببراءاتهم استعدّ شبّانها لمحاربتهم وكادوا ان يطلقوا عليهم الرصاص لولا انّهم نشروا العلم الابيض وصرخوا «اصحاب! اصحاب!»

لكنّهم لما اقتربوا من البلد الى مسافة ضرب الرصاص اذا بهم صوّبوا بنادقهم على حامية البلدة فقتلوا منهم اثنين فناجزهم العينبليّون القتال وكان دوي طلقات الرصاص يُسمع من الجانبين كسقوط البرد على الزجاج ثمّ هجموا على البلد واستعدّوا لحرق البيوت وكان اوّل بيت اجتمعوا عليه الحارة التي أقيمت في ساحتها حفلة

رفع العلم الافرنسي فرموا صاحبهُ بالرصاص من الشبّاك ثم هجموا على البيت وقتلوا من وجدوهُ فيهِ ثمَّ رشّوا عليهِ تنكة بترول واحرقوهُ بالنار فالتهب البيت وتصاعد لهيبهُ الى الفضاء حتّى صار جمراً ورماداً

وفي اثناء ذلك اتى الى ديرنا نحو ثلثين رجلاً من الاهلين بسلاحهم وصعدوا الى طابقهِ الاعلى وجعلوا يضربون من نوافذهِ المتاولة والتجأ ايضاً الى ديرنا قوم كثير من نساء وصبيان لينجوا من المذابح التي باشر بها المتاولة في انحاء البلدة . فأدخلناهم المعبد وحرضناهم على الصلاة الى قلب يسوع الاقدس ليردّ عنّا هذه البلايا . وكان بين الجمع كاهنان الخوري انطانيوس من دبل والخوري انطانيوس من عين ابل فصعد الواحد الى الحامية وبقي الثاني بين الجمع في المعبد . وكان الجمع المذكور يصلّون ويضربون صدورهم ملتمسين رحمة الله ومنهم من يلطم وجههُ وينتف شعر رأسهِ بقلب محروق على ما اصابهم . وكنّا نجتهد ان نقوّيهم ونحمد لظى صدورهم ونحرّضهم على التوبة والاستعداد للموت كشهداء الايمان . وكانت اصوات الصغار وعويلهم ممّا يفتت الاكباد فنلاطفهم ونقدم لهم الطعام

ثم صارت طلقات الرصاص تقترب من الدير فالتفتنا الى الكاهن وطلبنا منهُ ان يعطينا الحلّة عن خطايانا . فتلا الجميع فعل الندامة فارتفعت جلبة القوم وتصاعدت الزفرات وعمَّ البكاء كافّة الحضور وكأنّا نفتكر اننا بعد دقائق قليلة نُقتل او نُحرق فيكون نصيبنا كنصيب القتلى في جهات البلد

وفي تلك الساعة سمعنا طرقات متواصلة على ابواب الدير فحسبنا انهُ العدوّ فزاد قلقنا ثمَّ تناوبت الطرقات واذا بالطارقين يصرخون : افتحوا نحن اهل البلد . فلمّا فتحنا الدير تواثب اليهِ عدد كبير من الجرحى هذا الرصاص في جسمهِ وذاك مقطوع اليدين والآخر مضرَّج بالدم فغصّت بهم ساحة الدير والمدارس والطابق الاعلى . وابتدأ كلٌّ منهم يقصّ علينا قصّتهُ المفجعة ما اقشعرّت لهُ الابدان . فاسرعنا واحضرنا الماء والسبيرتو والشرائط من ثياب غسيل ذلك النهار فصرنا نسحب الرصاص ونضمّد الجراحات بين اصوات العويل وصراخ النساء والاولاد وترحّمهم على من قُتلوا وجُرحوا وهربوا هائمين في وجوههم

ولمّا غابت الشمس ارسلت الحامية فاخبرونا انَّ الذخائر نفدت عندهم ولم يبق لهم

ما يضربون به العدو وان الأولى بهم ان ينسحبوا مع الجرحى قبل ان يدركهم الاشقياء. فخرجوا ونحن ندعو لهم بالنجاة وتبعهم الجمع النازل عندنا وسار كل منهم الى ناحية وكذلك سارت معهم احدى راهباتنا الاخت بربارة وهي من عين ابل لتخدم الهاربين. فبقينا ثلاث راهبات الرئيسة والاختان سلستين طياح من غزير وانستازي ماريني من بغداد مع بعض النساء العجز بينهم الشماس انطانيوس الجثي الضرير. فطلبنا مشورته: «ما قولك انذهب نحن ايضاً او نبقى؟». فاجاب قائلاً: «ان خرجتن فتاوكنّ على الطريق لا محالة فالاجدر ان تبقين هنا ولا تهملن هؤلاء العجز وعلى الله الاتكال». فأثّر هذا الكلام فينا وقدمنا نفوسنا فداء عن هؤلاء المساكين ومحبة بالرب يسوع

ثم دخلنا المعبد نصلي امام القربان وكان الكاهن نسي ان يخرجه وكان الشماس الضرير يصلي معنا وكلنا نطلب ان تتم مشيئة الله فينا في الحياة وفي الممات فبقينا كذلك الى الساعة التاسعة من الليل ولم تزل اصوات البنادق وجلبة الاشقياء وقرقعة ابواب البيوت المجاورة المحطمة بقنابل ورشاشات المتاولة تطرق اذاننا وترجف فرائصنا. وكان السكان جميعهم قد هربوا واقفلوا ابوابهم وانما تركوا مرضاهم اذ لم يسمح لهم الوقت بنقلهم وكنا زرناهم منذ زمن قريب فاذاقهم المتاولة عند دخولهم امرّ العذابات واحرقوهم بالكاز وألّما الى اهلهم بعد ايام ليروا ماذا جرى لهم وجدوهم مجرّحين مقطّعين مشوّيين بالنار بالعري التام بينهم النساء والشبّان والشابّات

ونحو الساعة التاسعة وصل الاشقياء الى ديرنا واخذوا يدورون حوله كالذئاب يصرخون ويضجّون ويطرقون على ابوابه فاشرت الى اختيّ الراهبتين ان تخرجا معي بكل هدوء لنختفي في قرنة تحت درج الدير ورافقتنا صانعتنا واسمها نجمة فلطمنا هناك ونحن نصلي الى قلب يسوع والى مريم سيدة النجاة ومار يوسف شفيعنا والى الانفس المطهرية وكان يقوينا هذا الفكر اننا نجد الله باوجاعنا ونكفّر عن ذنوبنا واذا قُتلنا نكون شهيدات ايماننا. وفي تلك الساعة سمعنا اطلاقهم القنابل على باب ديرنا وعلى مدخله الذي بقرب المعبد فارتجّ البيت لضربهم وتكسّرت واجهة الزجاج التي فوق المدخل وانفتح الباب فدخلوا الى المعبد وكانت الساعة العاشرة من الليل فهلّلوا باصوات مرعبة كانهم ابالسة الجحيم ثم اخذوا يزقّون الصور ويكسرون

التماثيل التقوية والقناديل وحطموا شخص البتول المنصوب لاكرام شهرها المريمي وقتحوا بيت القربان الاقدس بكل حقة ورموا ما فيه من الصمدة المقدسة وداسوها بارجلهم النجسة وهم يصرخون : يا راهبات مرادنا ان نذبحكن ذبح الحملان! يا نصارى ... يا فرنسوية !

فحدث ولا حرج عما اصابنا حينئذٍ من الخوف والجزع ونحن نسمع تجاديفهم وكأننا نرى كل ما يفعلون . ثمَّ هجموا على الشماس الضرير وهو يصلي فضربوه وجرحوه وحاولوا قتله لكنهم تخلوا عنه لما قال لهم انهُ ضرير واعطاهم ما عليه من الثياب . ونحن وقتئذٍ في مخبأنا نقول بعضنا للبعض : « الآن يثبون علينا . فما العمل . نجنا يا رب »

## النجاة

ونحن في هذا الفكر واذا بالصانعة وهي فتاة بسيطة جدًا وغاية في التقى تقول لنا : فلنهرب من باب الجنينة لأنَّ هذا الباب من داخل الدير فقلنا لها : « اما سمعتِ كيف طرقوا كلّ الابواب وهم الان في وسط الدير يرمونكِ بالرصاص فتموتين » . لكنَّها لم تنتظر جوابنا بل خرجت للحال وذهبت تحت ستر الظلام وفتحت باب الجنينة دون ان تجد احدًا فعادت الينا مسرعةً واخبرتنا بذلك وكأن ملاكًا اتى من السماء ليخلصنا من ايدي اولئك الوحوش الضارية . فتبعنا الصانعة دون وعي ولم نأخذ معنا شيئًا من اكل وملبوس ولم يكن علينا غير ثيابنا العتيقة . فاخرجتنا من الباب المذكور وافتكرنا ان نختفي في الجنينة الا انَّ لهيب بيوت الجيران ودخانهُ المتصاعد كان يُطلع علينا ويعمينا . فبقينا حيارى لا ندري ما العمل واذا بالصانعة ملاكنا المنظور في تلك الليلة اشارت الينا بان نتبعها لكي تأخذنا الى مكان امين . وكانت الساعة نحو الحادية عشرة من الليل الدامس . فقفزت امامنا كالظبية فوق سياج الجنينة ونحن في اثرها وهي تلتفتنا حين نقع ثم صرنا نتشبَّث بالصخور ونطفر في حُفَر الارض فنعلو تارةً ونهبط اخرى وثيابنا تتخرَّق بين الدغل والاشواك لكنَّنا لم نبالِ وكلّ همّنا ان نبلغ الى مأمن . وكنَّا نسمع غوغاء المتاولة « وزلاغيط » نسائهم اللواتي يجمعن اسلاب القرية وغنائمها ويمرّ في ضوء اللهيب اشباحهم كشياطين الهاوية . وكانت

الحيوانات نفسها تبدي هلعها وكان البقر يخور والديكة تصيح والكلاب تعوي والقرميد يتحطم عند سقوطه .

فمشينا نحو نصف ساعة حتى بلغنا الى شجرة وارفة الظل فاسترحنا قليلا ونحن نستتر تحت اغصانها الكثيفة لئلا يرانا احد والفتاة نجية تجس حولنا خوفاً من عدو يتربصنا . وبعد حين شاهدنا اللهيب يتصاعد من بيت قريب منا حتى مسنا شراره فقالت الصانعة : هيا بنا نسير الى مكان آخر فانا على مسافة ساعتين من هنا مكاناً اسمه بسبسه وعراً جداً قد هرب الناس اليه ليختبئوا فيه وانا اعرف الطريق : فالعجل العجل . فتبعناها بين الحجار والصخور والاشواك في وهاد وتلال نقع مرة ونقوم اخرى وقلبنا مقطوع من الخوف وظهرنا محاول من كثرة الرعبات ونحن لم نذق طعاماً منذ الظهر . الا ان الفزع كان يطير الوجع . فكنا نسير في الغابات المقفرة والاودية المحجرة مساكن الوحوش التي كنا نسمع صوتها ومآوي الحيات حتى وصلنا بعد الجهد الجهيد وقطع النفس الى المكان المقصود وهو غور نهاية في الوعور تغطيه الاشواك ولا تكاد تأوي اليه اللصوص فكان وصولنا الساعة الواحدة بعد نصف الليل

وجدنا هناك قسماً من اهل عين ابل التجأوا اليه فسررنا بمشاهدتهم ولا سيما اذ رأينا معهم الاخت بربارة وكل فكرها فينا اذ رأت اللهيب في جهة ديرنا فظنت اننا ذهبنا ضحية النار فصارت تندب وتقول : قد احترقت الراهبات في الدير . ورفقتها يصرخون : يا رب نجِّ نجِّ الراهبات من الحريق . فلما وصلنا اليهم شكروا الله من صميم القلب على خلاصنا وعدوا ذلك اعجوبة من قلب يسوع

ثم اخذنا نتشاور مع الجماعة الى اين نذهب فغلب الرأي ان نسير الى قرية رميش فمشينا معهم في طرق غير مسلوكة لئلا يهتدي الينا الاشقياء فكم اصابنا من عذاب الطريق حتى وصلنا عند الفجر الى رميش وكان الندى يتساقط على ثيابنا فبللها فصرنا نرجف ونتقعقف من البرد ونتلفلف بثيابنا العتيقة المتخرقة وكان أملنا ان نلقى فيها ما يمسك رمقنا فاذا بها فارغة ليس فيها دينار ولا نافخ نار فكل اهلها اذ سمعوا ما حل بعين ابل ولوا هاربين فلم نجد من يبرد غليلنا بكأس ماء او يسد جوعنا بكسرة خبز لاسيما الاولاد يستغيثون ويطلبون ماء وخبزاً وليس من مغيث . الا اننا وجدنا في طرف القرية قوماً من اهل عين ابل كانوا سبقونا اليها فراراً من المتاولة فاخذوا يسألوننا

عن اهلهم وذويهم فافدناهم ما وقفنا عليه فكانت هذه الاخبار كسهام نافذة في قلوبهم أفجرت عيونهم سيولاً فشاطرناهم الاحزان

ثم قلنا لهم هيّوا بنا الى قرية اخرى نجد فيها شراباً وطعاماً . فسرنا الى قرية المنصورة ومنها الى غيرها ثمّ غيرها ونحن لا نجد في واحدة منها نصيراً ولا معيناً وكل الاهلين قد نجوا بنفوسهم من هجوم المتاولة وعرّتهم .. ثم واصلنا المسير حتّى دخلنا منطقة حماية الانكليز فوصلنا الساعة ١١ قبل الظهر الى قرية تدعى فـوطـة كان اهلها ايضاً تفرّقوا لخوفهم الّا اصحاب بيت واحد كانوا على وشك الفرار واذا بهم يطبخون الغداء دست لبنيّة ويخبزون المرقوق على الساج لزوّادتهم . وقد قدّر الله انهم كانوا من اصحاب الخير والكرم فلمّا عرفوا حالتنا من الجوع والعطش ونحن زهاء مئة نفس ترحّبوا بنا وقدّموا لنا ما حضر عندهم من حليب وزبدة وخبز ابيض ولبنيّة فأكلنا جميعنا ما قسمهُ الرب من خيره وخير الكرام وشكرناهُ تعالى على ما انعم وتمنّينا لاولئك المحسنين الف خير

ثمّ قام كلّ منّا متوجهاً الى حيث يؤمل لنفسه وآله اماناً وخلاصاً . امّا نحن فقصدنا الذهاب الى ديرنا في معليا من قضاء الانكليز بيد انّنا ما كنّا نعرف الطريق وليس من دليل يدلّنا . وكان قد قرب الظهر . فصرنا نمشي على التخمين حتى صادفنا رجلاً بعد ساعة فاستدللنا منهُ عن طريق معليا فأجابنا : هذه طريق صعبة جداً يقطعها اللصوص فلا يمكنكنّ سلوكها . فرجعنا الى القرية وسألنا الفلاحين والمزارعين عن طريق مسارة فكلهم يقولون : انّ سائر الطرقات مقطوعة . وصاروا يقصّون علينا الف حادث مزعج يجري كلّ يوم فيها .. فاستولت علينا الحيرة والشمس تحرق اجسامنا بلهيبها ليس لدينا مظلّة نلطّف بها حرّها

فبينما نحن في تلك الحالة التعيسة اذا برجل مرّ بقربنا فتوسّلنا اليه بأرقّ الكلام واوقعه في القلوب ان يسير معنا الى معليا . فقال : كيف اسير معكنّ والطريق كلها يقطعها اللصوص . فقلنا : وماذا يستطيع اللصوص ان يأخذوا منّا وليس لنا سوى هذه الثياب الاخلاق . قال : آتي بشرط اني انجو بنفسي اذا خرج علينا اللصوص اذ ليس لي من السلاح غير هذه العصا . فاتّكلنا على الله وابتدأنا ان نصلي على نيّة النفوس المنقطعة اتشفع فينا وتنجّينا من كلّ عدوّ . فمشى الرجل ومشينا وراءه وهو ينطّ

مثل العصفور ويقول: الحقوني واستعجلوا. فسرنا حفاة بين الحجارة والصخور والشمس تقدح في رؤوسنا. والرجل من مدة الى اخرى يقول: هنا امس قتلوا واحداً. وهنا نهبوا آخر. وفي هذا الممرّ اخذوا مواشي فلان. فكان كلامهُ يقطع قلبنا ويحلّل ركبنا فضلاً عن الشوك الداخل في ارجلنا فكم كنا نقع ونقوم ونتقرع في سيرنا الاشواك النافذة في جوارحنا.

وكان برفقتنا امرأة من تلميذاتنا تربت في ديرنا مدة ١٥ سنة واعتنت بها الاخت سلستين عدة سنين وكانت قد ولدت طفلاً قبل ٢٠ يوماً تحملهُ وهي بحالة الضعف والطفل يبكي ويتململ كانهُ اوشك على الموت فتخلفت عنا وهي ترثي لحالنا اكثر منها لحالها. فاسكتناها واخذت الاخت سلستين طفلها ولفتهُ بثيابها لتصونهُ من حرّ الشمس. فشينا هكذا الى نحو الساعة ٥ بعد الظهر وقد اخذ منا التعب كلّ مأخذ وغلب علينا العطش لا سيما الاخت انستازي التي خارت قواها واضنكها العطش وهي تطلب بقلب مجروح جرعة ماء. فصبّرناها بذكرى يسوع على صليبهِ اذ صرخ: انا عطشان.. فصبرت مدة ثم رأت حالها في ضنك شديد كاد يُغمى عليها فلحقتها الامّ المرضع بنقط من حليبها ثمّ تقدّمت الواحدة منا فاسرعت الى معليا وهي لا تزال على بعد نحو ساعتين فأتت بابريق ماء. فلما شربت الاخت امكنها ان تتبعنا الى القرية. والحقّ يقال اننا في هذه الساعات الاخيرة تكبّدنا من العناء ما لا يفي بهِ وصف فكنا نرشف رشفاً من العياء والنَّصَب

وصلنا الى معليا بعد غياب الشمس ودخلنا دير اخواتنا في حالة يرثى لها وكانت رئيسة الدير الاخت اورسلا قد بلّغها خبر مصابنا مع تفاصيل نكبات عين ابل بواسطة كاهن القرية التي نزلنا فيها فسبقنا. فأثّرت هذه الامور في جسمها الضعيف حتى وقعت على الارض صريعةً لا تعي. وكانت رفيقتها الاخت بلاجيا تعتني بها لا يمكنها ان تفارقها لتجد احداً يأتي لمساعدتنا. فكان دخولنا عليهما كموتى عادوا من قبرهم. فانعش وصولنا الاخت اورسلا فاسرعت هي والاخت بلاجيا الى الاعتناء بامرنا والدموع تجري من عيون الجميع وكان اوّل كلامها: الشكر لله على نجاتكنّ سالمات! لقلبهِ الاقدس المجد الذي خلّصكنّ بهذه الاعجوبة الباهرة!. فقضينا تلك الليلة في مداواة جروحنا وابدال ثيابنا وسدّ رمقنا فكأنّنا خلقنا لحياة جديدة

وفي اليوم الثاني ذهبنا الى ترشيحا لنستأجر مكارياً يأخذنا الى عكا . ونحن هناك اذ رأينا اهل معليا هجروا بلدتهم واتوا الى ترشيحا واكثر اهلها مسلمون سنيون يحتمون اليهم من المتاولة مع متاعهم على رؤوسهم واطفالهم على اكتافهم . فراهبات معليا اذ رأين اهلها هاربين تبعنهم ولكثرة ازدحام الناس بقينا كلّ واحدة ضائعة عن رفيقتها الى ان وجدنا بعضنا بعد التفتيش الطويل وظللنا اياماً في ترشيحا نطلب مكارياً ليسير بنا الى عكا فلم نجده الّا في اليوم الرابع لكننا اسرعنا فأرسلنا تلغرافاً الى رؤسائنا في بيروت على يد رئيسة الناصرة في عكا مدام دي ريو الفاضلة اعلمناهم بخراب ديرنا في عين ابل وبقرب وصولنا الى بيروت بحراً (١)

وجدنا في عكا اهناً ضيافة في دير راهبات الناصرة فاستقبلتنا رئيستهنّ مع اخواتها بكل لطف وحنوّ ولم يوفرن شيئاً من العناية بنا جازاهنّ الله كلّ خير . ومثلهن راهبات حيفا اخواتهنّ فبذلن كلّ وسع في خدمتنا وتعزيتنا عن مصائبنا وذلك مدة اثني عشر يوماً الى ان وجدنا مركباً ينقلنا الى بيروت . وكنّا اثناء اقامتنا في حيفا نزور كلّ يوم المهاجرين من عين ابل وعددهم نحو الالف ما عدا الذين هربوا الى صفد وصور والجش وجهات أخرى فكنّا نسمع منهم عن اهلهم وبيوتهم وارزاقهم اخباراً تثير الاشجان وتهدّ الاركان فنمزج دموعنا بدموعهم . وقد لقي هؤلاء الساكين في حيفا من كرم المحسنين وخصوصاً من عناية مطران عكا الفضال السيد غريغوريوس حجّار الشهير بحسناته ومحبّته نحو البؤساء كلّ المساعدات الممكنة ولم يحرمنا ايضاً من اسعافه بارك الله كلّ مساعيه الخيريّة وحقّق كلّ رغائبه الصالحة

ومنّا لقيناهُ في حيفا شمّاسنا انطانيوس الضرير الذي تركناهُ في معبدنا . اخبرنا انّ المتاولة في صباح تلك الليلة الهائلة هجموا كالذئاب على ديرنا وقضوا ثلثة ايّام ينقلون منهُ كلّ ما يحتويه من مؤونة واثاث وحاجات مدارس . ثمّ احرموا فيه النار فحرقوهُ وهم يتغنّون بهذه الاقوال : « يا ما احلى كش العصفورة ! يا ما احلى سرق وحرق الديورة ! الخ امّا هو فانتقل الى بيت امرأة ضريرة مثلهُ . كانت نجت لعلّتها ايضاً

(١) وفي اثناء ذلك عادت صاحبتنا نجمة بكل جرأة الى عين ابل ماشيةً لتنظر ماذا حلّ بأهلها فوجدت امها قد قُتلت وكانت مثال البر والتقى فدفنتها بيدها كئيبةً ودفنت غيرها من اهلها وعادت فلحقتنا بعد ان ذهبت الى صفد للاستخبار عن راهباتها

فاخذها معهُ وسارا متخاصرين الى كفر برعم اعمى يقود عمياء. واما الشماس ذكي عالم كان سابقاً معلماً للاولاد محسناً لتفسير التعليم المسيحي فهداهُ ذكاؤهُ الى وجود طريقة للنجاة من ايدي الظالمين والى قطع المسافة بين عين ابل وحيفا ومنها الى بيروت

وكان وصولنا الى بيروت في ٢٣ من ايار يوم عيد سيدة معونة النصارى التي لسعفتنا في هذه المحنة وأوصلتنا سالمات الى ديرنا العامر

# النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل العاشر : الفنون الجميلة بين نصارى العرب : ١ الهندسة (تتمة)

﴿ الهندسة المدنية ﴾ قد اتسعنا في ذكر الهندسة النصرانية الدينية في عهد الجاهلية واوائل الاسلام بين العرب . وفي جزيرتهم ايضاً ابنية غيرها مدنية كالقصور والحصون وغير ذلك مما يشيدهُ الملوك والذوات لاغراضهم الخاصة او لشؤون مملكتهم . وهذه الآثار كثيرة في كل انحاء العرب ولاسيما في ممالكها الثلث اي التبابعة في اليمن والمناذرة في العراق والغساسنة في الشام وورد شيء من ذكرها في الشعر الجاهلي والتقليد القديم وكشف على بعضها اصحاب الرحل الى جزيرة العرب في الحقبة الاخيرة . فهذه المباني لا يُعرَف لها غالباً تاريخ ولم تُذكر اسماء بُناتها ولا جرم انَّ للنصارى في قسم منها نصيباً صالحاً

وان باشرنا بالعراق وشمالي الجزيرة وجدنا في شعر الاسود بن يَعفُر بعض قصور لآل محرّق ولبني إياد فقال :

ماذا اؤمل بعد آل محرّق تركوا منازلهم وبعد إيادِ
اهل الخَوَرْنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

فهذه القصور بُنيت للملوك نصارى وقد تولّى بناءها مهندسون نصارى ذكروا

احدهم وهو رجل رومي يقال له بِشْنار بنى الخورنق للنعمان الكبير (ياقوت ٢ : ٤٩١)

وقد اطرأ العرب محاسن الخَوَرْنق دون ان يدققوا في وصف بُنائهِ . ولعلَّهُ هو القصر الذي زارهُ المستشرق البارع لويس ماسينيون سنة ١٩٠٨ المعروف بقصر الأُخَيْضر وأَلفت اليهِ نظر العلماء في جمعيَّة الكتابات والفنون سنة ١٩٠٩ ثمَّ زارتهُ الآنسة الانكليزيَّة مس بل سنة ١٩١٠ واحسنت وصفهُ في كتابها المدعو (Amurath to Amurath) واثبتت صورهُ ( ص ١٤٧—١٥٨ ) وهو بناء عظيم ذو طابقين تدلُّ بقاياهُ الجليلة على عظم شأنهِ امَّا اسمهُ الأَخيضر فقد اختلفوا في اصلهِ ولعلَّ الاصحَّ ما قيل في ذلك انهُ تصحيف الأَكيدر صاحب دومة الجَنْدَل النصراني الذي مرَّ لنا ذكرهُ ( ج ١ ص١٠٨ ) . وقد جاء هناك عن البلاذريّ ان عمر بن الخطَّاب نفاهُ من وطنهِ لمخالفتهِ دين الاسلام فنزل موضعاً قرب عين تمر في جهات العراق وبنى بهِ منازل سمَّاها دومة باسم حصنهِ ( راجع مجلَّة لغة العرب ٢ : ٤٧ )

وممَّا ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان ( ٤ : ١١٦ ) من الابنية النصرانيَّة المدنيَّة قصر العَدَسيّين قال « انهُ في طرف الحيرة لبني عمار بن عبد المسيح نُسبوا الى جدَّتهم عَدَسة بنت مالك بن عوف الكلبيّ »

ولا نشكُّ في انَّ النصارى هم الذين شيَّدوا للخلفاء وامراء العراق مبانيهم . فانَّ الالمانيين ارباب الحفريَّات في سامرَّا وجدوا بين انقاضها صوراً وتماثيل اشخاص بالوانها مع رسوم هندسيَّة متنوعة وصلبان كثيرة موقعة باسم شماس نسطوريّ بارع بالتصوير ورد اسمهُ على صورة «مسمس» ( مخطوطة )

وقد افادنا ياقوت الروميّ ( ٤ : ٤١٣ ) انَّ قصر الخليفة المتوكل المعروف بالجعفري الجامع لكل محاسن البناء كان بانيهِ دليل بن يعقوب النصرانيّ كاتب بغا الشرابيّ

وممَّا وقف عليهِ الاثريون والسيَّاح في ايَّامنا من الابنية الجليلة والآثار البديعة في جهات العرب في الحجاز مواب غربيّ وادي سرحان عدَّة قصور فخيمة ومعاقل جليلة سبق لنا ذكرها في المشرق غير مرَّة (١ [١٨٩٨] : ٤٨١ و ٦٣١ ثم ٤ [ ١٩٠١ ] : ٧٦٥ — ٧٦٦ الخ ) كالمشتَّى وقُصَيْر عَمْرة وطوبة وفيها من الآثار الهندسيَّة ومن التصاوير وتمثيل احوال البادية كالصيد والغزوات والمآدب والصنائع ما اذهل العلماء

لوجوده في البراريّ . واتّسعت منذ ذاك الحين مجلّات العلماء ولاسيّما تآليف المستشرقين في وصفها والبحث عن بُناتها ومجوريها . واليوم قد رجّح العلماء ان هذه الابنية من عهد الوليد بن يزيد الخليفة الامويّ . وكان يفضّل العيش في البادية على المدن . فيصرف القناطير المقنطرة لبناء تلك الآثار ليسكناه وسكنى جنوده وحاشيته . اما مهندسو هذه القصور فكانوا ايضاً من نصارى الشام ومصر والجزيرة وقد نسبها العلماء اوّلاً الى بعض ملوك العجم ثمّ الى بني غسّان او الى بني لخم حتّى رجّحوا آخراً كونها للوليد بناها لهُ النصارى الوطنيّون . وفي هندسة هذه القصور ما استدلّوا بهِ على بلادهم المختلفة فكأنّ كلّ فريق منهم تتبع طريقتهُ الهندسيّة التي اعتادها في موطنهِ . وقد وقف حضرة الاب هنري لامنس في تاريخ بطاركة مصر لساويروس بن المقفّع على ما يؤيّد نسبة هذه البنايات في بوادي العرب للوليد . قال ابن المقفّع :

« وضبط الملك ( بعد هشام ) الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان جفنهُ يبغضهُ فبدأ ببني مدينة على اسمهِ في البريّة وجعل انساناً عليها وكان الماء بعيداً منها خمسة عشر ميلاً وجمع الناس من كلّ موضع وبنى فيها بيد قويّة ومن كثرة الناس كان يموت كلّ يوم فيها جماعة من قلّة الماء وكان يحمل لها الماء الف وماتتا جمل وما يكفيهم كلّ يوم وكانوا الجمال فرقتين ٦٠٠ تحمل يوماً و ٦٠٠ تحمل يوماً فوثب عليهِ رجل اسمهُ ابراهيم (١ فقتلهُ واخذ الملك منهُ واطلق الاساري فمضى كلّ منهم الى وطنهِ »

ولو تتبّعنا بعد هذا الآثار البنائيّة العربيّة في شمالي الشام وفي باديتها وما وراء الاردن وفي الحجاز واليمن وفي مصر لوجدنا آثار الهندسة المدنيّة النصرانيّة في كثير منها غير ان هذه الفنون الهندسيّة لم يُحكم العلماء درسها ليتحقّقوا اصلها ودقائق صُنعها وفي القليل ممّا ذكرناهُ دليل كافٍ لاثبات قولنا بانّ النصارى اكبر فضل في البناء العربيّ الدينيّ والمدني معاً ( لهُ بقيّة )

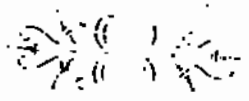

١) والصواب ان الوليد قُتل في محاربة يزيد الثالث ابن عمهِ قتلهُ بعد انتصارهِ عليهِ ولم يطل زمن ملك يزيد ثمّ ملك بعده ابراهيم المذكور هنا

# مطبوعات شرقية حديثة

**Fischer** (Dr Hans) : Wirtschaftsgeographie von Syrien mit einer Wirtschafts-Karte, 8°. *Indischer Verlag, Berlin*. 1919

جغرافية سورية الاقتصادية

انجز الدكتور فيشر هذا التأليف في اواخر الحرب اذ تقهقر الاتراك مع الالمان من فلسطين وهو كتاب معتبر جمع فيه مؤلفه كل المعلومات التي امكنه الحصول عليها لبيان احوال سوريَّة الاقتصاديَّة . وقد ساعده على ذلك نفوذ دولته في فلسطين واخاء الشام . ولا شكَّ انَّ هذه الاحوال بعد انتصار الدول المتحالفة سوف تتحسَّن فيقاس التحسين على معلومات هذا الكتاب . ومن فوائده خارطتان دقيقتان تدلّ الواحدة على حالة التربة من الجهة الاقتصاديَّة . والاخرى على احوال البلاد الصناعيَّة والتجاريَّة والمعدنيَّة . هذا الى اربعة رسوم يستفاد منها قياس المطر السنوي ثمَّ احصاء السكَّان ثمَّ المستعمرات اليهوديَّة والالمانيَّة في فلسطين ثم رسم حيفا وجوارها مع ستَّة جداول

**Ferry** (Abel) : La Guerre vue d'en Bas et d'en Haut, in-16, pp. 328. *Paris*, 3e *éd.*, 1920.

الحرب من اسفل ومن علُ

وضع هذا الكتاب في اثناء الحرب احد ضحاياها الذي قتل قبل الهدنة بايَّام قليلة وهو المسيو هابيل فري وكان احد مندوبي مجلس الامَّة لمعاملة الفرج فاراد حبًّا بوطنه تكليف نفسه بان يتجوَّل في ساحات الحرب ويحرّر ملحوظاته عن احوالها وحركاتها وقوَّادها وجنودها ليشير الى زملائه بما في شؤونها وتدبيرها من الخلل ليتداركوه بالشورى . فكتاباته هذه التي نشرت الجرائد البعض منها قد جمعها اهلهُ فنشروها بعد موته . فيستدلّ من هذا الكتاب على تفاني المؤلف في خير وطنه وحسن نظره في عدَّة امور ألقيت بموجب تحاريره على بساط البحث في مجلس الامَّة فتداركوا ما تحقَّقهُ من الخلل في حالة الجنود وفي العُدَد والاسلحة والذخائر فكان كتابهُ مساعدًا الى نالتهُ فرنسة من الظفر

ج . لوقنك

**Louis Capelle S. J :** LES AMES GÉNÉREUSES, *Paris, G. Beauchesne, in - 12, 1920, pp. XXVIII — 623*

النفوس الكريمة

ليس الكرم المذكور في هذا الكتاب السخاء ببذل المال بل الجود ببذل النفس في خدمة الله جمعه حضرة الاب كابل اليسوعيّ من اقوال واعمال كبار اولياء الله ولا سيّما القديسين الذين خصّهم الرب بكرامات ورؤى عجيبة فاجتذبهم الى حبّه بتضحية نفوسهم ورضاهم باصناف الآلام من يده تعالى وحملهم صليب ابن الله بكل نشاط وارتياح يفضّلون آلامهُ على كلّ ملاذّ الدنيا وشهواتها ففي تراجم هؤلاء القديسين تعاليم سامية وحكم الهيّة من شأنها ان تنير النفوس الصالحة وترشدها الى طريق الفضيلة وتنكّب بها عن كل ما يشتهيه العالم واصحابهُ فانتقى المؤلف هذه الشذرات ونظمها على اسلوب مبتكر فجعلها كدستور للنفوس الصالحة الطالبة أعلى درجات الكمال . ومع اقرارنا بفضل حضرة الجامع قد رأينا في بعض منقولاته ما يجب التحفُّظ في تصديقه والكنيسة لم تبدِ حكمها فيه لا سيّما ما ورد في الصفحات ٣٦٢ الى ٣٦٩ عن امور الطهر . وهناك في الصفحة ٣٧٠ آراء عن اليسوس لا توافق تعليم اللاهوتيين فكان يجب التنبيه عنها . لكنّ هذه الكدف لا تكاد تخفف شيئاً من انوار تلك الشمس الساطعة التي تنبعث ضياؤها من هذا الكتاب ب . كسنتاكيس

**Hans V. Kiesling:** 1) DAMASKUS alles und neues aus Syrien = 2) RUND UM DEN LIBANON. *Leipzig*, 1919 - 1920, *in* - 8. *pp.* 126 *et* 120

وصف دمشق — سياحة في لبنان

ليس في هذين الكتابين شيء جديد . فانّ الاوّل منهما يحتوي وصف دمشق والثاني سياحة الى لبنان . مؤلفهما ضابطٌ ماني لا يُعَدّ من الاثريين ولا من المستشرقين وانّما سكن لبنان في زمن الحرب الاخيرة فانتهز الفرصة لزيارة انحاء الجبل وعاصمة الشام فدوّن في مذكّرته بعض الملحوظات عنها فممّا لحظهُ في كتاب دمشق ( ص ١٩ ) انّ العرب مواطني فيصل ليسوا كما يظنّ البعض رجال بأس ومروءة فقد رأوهم غير مرّة يجرّدون الجرحى في ساحة الحرب من ثيابهم سواء كانوا اتراكاً او المانيين او انكليز على سواء . وممّا افاد هناك (ص ٣٥) انّ الالمان باشروا في دمشق مدّة الحرب حفريّات حول الجامع الامويّ اوقفتهم على ساحة الشعب

( Forum ) القديمة ومساحتها . فلعلّ منشورات الاثريين تفيدنا قريباً عن صحّة الخبر ونتائج الحفريّات . اما الكتاب الثاني المشتمل على سياحة لبنان فانّ كاتبهُ ينقل اشياء كثيرة دون تمحيصها ببودقة النقد . على انهُ يحسن الظنّ باللبنانيين ويمدح نشاطهم ونظافتهم ويذكر محبّتهم العميقة لفرنسة ولم يجد اثراً لميلهم الى دولة عربيّة وغاية ما يطلبون النجاة من النير التركي وحماية دولة كبرى لا سيّما فرنسة . فهذه شهادة من احد الاعداء ابلغ من كلّ مدّعيات وطنيينا الخواجا خيرالله في كتابهِ Les Régions Arabes libérées الاب ه . لامنس

E. J. W. GIBB MEMORIAL: 1) XXII: Kitab Al-Luma Fi'ltasawwuf of Abû-Nasr Al-Sarraj. Text edited by R. A. Nicholson. 1914, pp. L + 154 + ٤٧٢ = 2-3) XXIII. 1 et 2. Nuzhat Al-Qulûb by Hamd-Allâh Mnstawfi of Qazwin. Persian Text with Translation by G. Le Strange, 1915 - 1919. pp. XVII - ٢٧٨ and XIX-322 = 4 ) XXIV. Shamsu'l-'Ulum by Nashwân Ibn Saïd. Extract gesammelt, alphabetisch geordnet und herausgegeben von 'Azimuddin Ahmad. Ph. D, 1916. pp. XXIII + 44 + ١٦٣ *Leyden. E. J. Brill*

اربعة آثار من مطبوعات شركة جبّ

انقطعت عنّا لوقوع الحرب مطبوعات شركة جبّ فأُرسل الينا منها مؤخّرًا الكتب الآتية : ١ً كتاب اللُّمع في التصوُّف لابي نصر عبدالله السرّاج الطوسيّ الصوفي المتوفّى سنة ٣٧٨ ه (٩٨٨م) وهو كتاب واسع في ٥٢ فصلًا جمع فيهِ مؤلّفهُ ما عرفهُ عن اسم الصوفيين وتاريخهم ومشاهيرهم وطريقتهم واصطلاحاتهم الخ . وهو مفيدٌ جدًّا للوقوف على احوال الصوفيّة الذين زعم الزاعم انّ بعض الرهبانيّات النصرانيّة تقلّدوهم والصواب انهم هم الذين اقتفوا آثار الرهبان الذين سبقوهم اجيالًا ثمّ خاطوا بتعاليمهم ما انكرهُ عليهم المسلمون وغيرهم لا سيّما مذهب الحلول — ٢ً الكتاب الثاني بالفارسيّة هو لحمد الله ( وفي كشف الظنون يروى لمحمّد ) بن ابي بكر بن حمد المستوفي القزويني المتوفّى سنة ٧٥٠ ه ( ١٣٤٩ م ) في ثلث مقالات الاولى في مواليد الطبيعة والثانية في الانسان والثالثة في البلدان مع خاتمة في عجائب العالم . وهذا الكتاب طُبع طبعاً سقيماً في بمباي فعمد العلّامة المستشرق غي لو سترنج الى قسمهِ الثالث الجغرافي فطبعهُ طبعاً مصحّحاً وذيّلهُ بالحواشي المفيدة

واضاف اليه الفهارس تتمّةً لفوائده —٣ وليس الكتاب الثالث سوى ترجمة التأليف السابق الى الانكليزية مع الملحوظات الوافقة والفهارس الحسنة . فنشكر ناشر هذا الكتاب الذي يزيدنا علماً عن عدة بلدان نازحة في عهد القرون الوسطى =

٤ الكتاب الرابع من امتع المصنّفات واجداها نفعاً لمعرفة امور اليمن وهو لنشوان ابن سعيد الحميري اليمني المتوفى سنة ٥٧٣ هـ (١١٧٧ م) المسمّاة شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم . قال الحاج خليفة في وصفه (٤ : ٧٤) : هو « في اللغة ثمانية عشر جزءاً سلك فيه مسلكاً غريباً يذكر الكلمة من اللغة فان كان لها نفع من جهة ذكره وذكر في كلّ مادّة ابواب الكلمة ومستعملاتها » وهذه الطبعة لا تحتوي غير منتخبات في اخبار اليمن اعتنى بنسخها وتصحيحها عظيم الدين احمد وقدّم عليها المقدّمة والملحوظات اللغوية والتاريخية مع فهرس واسع على حروف المعجم لأعلام الرجال والنساء والحيوانات والاصنام ثمّ للاماكن والامم والقبائل والفرق والكتب فجاء سفراً فريداً في بابه لا سيما لمعرفة اخبار اليمن . فترى من الاوصاف السابقة كم اضحى الناس مَدينين لشركة جبّ لنشرها اعزّ الكتب التي لولاها لأخذها النسيان وضاعت في زوايا الخمول

ل . ش

١ سبيل الوصول الى الأصول او الفصول البيّنات في اصول الكائنات (ص٢٠٨) = ٢ صدى الحقائق المردَّد ما بين موسى وعيسى ومحمَّد (الكتاب الثالث) (ص ١٨٣) وكلاهما بقلم الخوراسقف خير الله اسطفان المعتمد البطريركيّ الماروني

طُبعا في نيويورك في سنتي ١٩١٦ و١٩١٦

اطّلعنا بملء السرور على هذين المصنّفين الجليلين فالاوّل قد خصّه المنسيور خيرالله باهمّ الابحاث الفلسفيّة كوجود الخالق واصل الكائنات من المواليد الثلاثة وتركيبها وجواهرها وخواصّها المميّزة لها وخصوصاً النفس وروحانيّتها وخاردها الى غير ذلك من الابحاث التي اثبتها بالبرهان وفنّد فيها اوهام المبتدعين والمادّيين والدرويزيين وذوي الحاول على طريقة سهلة قريبة المنال وعبارة متينة وادلّة مقنعة . فيا ليت كتبة اميركة يعمارون النظر في هذا التأليف فينكبّوا عن سبل الضلال في المباحث

الفلسفية - والثاني قد قابل فيه المؤلف بين حقائق النصرانيّة وتعاليم الأمّة المحمّديّة فذكر ما بينهما من الاختلاف وحكم الحكم الصواب في ما رآهُ اقرب الى الحقّ. فلا بُدّ من اضافة هذين الكتابين الى ما اسلفناهُ عن المطبوعات العربيّة في اميركة ابّان الحرب وهما من افضل منشورات العالم الجديد

## مقالات دينيّة قديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارى من القرن التاسع الى القرن الثالث عشر

طبعة ثانية مصحّحة ومزيد عليها بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٢٠ (ص ٨ + ١٤٩)

قد عرف القرّاء فضل هذا الكتاب الحاوي لمقالات كلّها درر لقدماء كتبة النصارى ظهر معظمها في المشرق فطُبعت على حدة. واذ قد نفد طبعها اسرعنا الى اعادة النظر فيها لإصلاح ما وقع فيها من الاغلاط بعد مراجعتها على نسخ خطّيّة جديدة حصلنا عليها. واضفنا اليها اربع مقالات جديدة من جنسها فبلغ مجموعها العشرين وكفى باسماء مصنّفيها تنويهاً بمحاسنها فمنهم بولس الراهب اسقف صيداء في القرن الثالث عشر. ومنها ما يرقى الى القرن التاسع كمقالات ثاودوروس ابي قرّة وحنين بن اسحاق. ومنها ما هو بين العهدين كمقالات عبد يشوع الصوباوي وعيسى ابن يحيى وابن عسّال. فهذه الاسماء احسن شاهد على خطورة هذا المجموع ومحتوياته النفيسة فنحضّ الادباء عموماً ورعاة الدين خصوصاً لا سيّما المترشحين للكهنوت على مطالعته والاقتباس من فوائده

ل. ش

١ حياة الجنرال غورو المندوب السامي الجمهوريّة الفرنساوية في سوريا. تعريب جورج بشعلاني (ص ٤٠) = ٢ حياة صاحب السموّ الامير سعيد الجزائري (ص ٤٨) = ٣ وقائع صاحب السموّ الامير سعيد (ص ٧٢)

بيروت المطبعة اللبنانيّة ١٩٢٠

وصفنا سابقاً في المشرق (ص ١٥٩) سيرة حياة فخامة الجنرال غورو تأليف المسيو پيار غستينه فاحبّ الاديب جورج بشعلاني نقلها الى العربيّة تعميماً للفائدة فأجاد — ولجانبه ايضاً حياة حفيد الامير عبد القادر وهو صاحب السموّ الامير سعيد الجزائري

فبيّن مع ترجمة سيرته ما له من المآثر المشكورة ولا سيما خدمهُ الطيّبة لدولة فرنسة التي قدّرت قدرهُ وقلّدته اشرف المناصب . والكتاب الثالث مثلهُ يحتوي وقائع الامير مع ما جادت بهِ قرائح بعض الشعراء كحضرة الخوري مارون غصن وابراهيم بك الاسود والاستاذ يوسف افندي الغلبوني وغيرهم فكان لثنائهم احسن تأثير

## كنز النفوس او اهمّ الغفرانات

جمعهُ حضرة الخوري بولس سيُّور البولسي

بمطبعة القديس بولس في حريصا ( لبنان ) سنة ١٩١٦

كانت مطبعتنا الكاثوليكيّة نشرت سنة ١٨٦٦ مجموعاً صغيراً يحتوي الغفرانات القريبة المنال لاحد آباء رسالتنا . الّا انَّ هذه النعم الروحيّة يطرأ عليها تغييرات شتّى بامر المجمع المقدّس فمنها ما يُلغى ومنها ما يستحدث . فاحبّ حضرة الخوري بولس سيُّور ان يُعيد النظر في الكتب الرسميّة التي نُشرت في هذا الموضوع مؤخّراً بأذن الكرسي الرسولي ومجمع الطقوس كتأليف الاب برنجر اليسوعي وغيره فاقتطف منها هذا الكتيّب الصغير الحجم الكبير القيمة اذ بواسطتهِ يستطيع المؤمن ان يكفّر عن ذنوبهِ باسهل منوال ويسعف الانفس المطهريّة . وقد افتتحهُ بفصلين مهمّين بيّن فيهما ماهية الغفرانات والشروط لربحها ان كاملةً وان جزئيّةً . فنشكر حضرة جامع هذا الكنز ونحضّ كلّ المؤمنين على الاقبال عليهِ

ل . ش

## تاريخ لبنان في الحرب

بقلم الخوري انطون بيبن اللبناني ( الجزء الثاني )

بمطبعة امين هندية بمصر سنة ١٩٢٠ (ص ٢٣٨ )

سبق لنا وصف الجزء الاوّل من هذا الكتاب ( ص ١٥٦ ) الذي لم يدّخر كاتبهُ المدقّق وسعهُ لجمع موادّهِ عن اصدق المصادر واوثق الموارد . وليس هذا الجزء دون بكره فائدةً بوفرة معلوماتهِ وكشف مظالم الدولة التركيّة وارتيابها وعمّالها وبيان الحقائق السياسيّة التي اماط عنها القناع . وممّا قرأناهُ بكل رغبة وتأثير تفاصيل توقيف

وحبس وكتابات ووفاة الشقيقين فقيدي الوطن والمروءة والدين والادب الشيخين فيليب وفريد الخازن (٩٩ — ١١٤) ونُورنا ايضاً بما ورد في الكتاب عن اسرار المواصلة بين دول الحلفاء والبلاد السوريَّة في زمن الحرب (١٥٨ — ٢٣٦)

# شذرات

﴿ تمثال قداسة الحبر الاعظم في الاستانة ﴾ رويت جريدة الاوسرفاتوري رومانو لسان حال الواتيكان انهُ نُصب آخرًا في الاستانة بحفلة مؤثرة تمثال قداسة الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر برخصة ومشاركة ارباب الحكومة المسلمين وزعماء الطائفة الاسرائيليَّة شكرًا لهُ على مساعيهِ الجليلة لمساعدة المبوسين في مدَّة الحرب . والتمثال المذكور يمثل قداستهُ متوشحاً بالحلل البابويَّة تدلُّ يمناهُ على شارة الاستقبال وفي يدهِ اليُسرى كتاب الانجيل الطاهر

﴿ نجم جديد ﴾ يرصد الفلكيُّون السماء فيجدون فيها من العجائب ما يكلُّ لسانهم عن وصفهِ . وممَّا وقفوا عليهِ في ٢٠ آب الماضي ظهور نجم جديد سطع نورهُ في الكوكبة المعروفة بالطائر او قِقنوس ( Cygne ) في شمالها . فكان النور اوَّلاً كنور النجوم الثالثة في العظم . ثم زاد سطوعاً فاضحى كالنجوم الثانية في العظم . وقد تنبعث منهُ غازات وافرة متجهة نحو ارضنا وسرعة هذا النجم في الثانية ١٠،٠٠٠ كيلومتر . وهو ممتاز بشرائط مشعة كالاجرام السديمية امَّا حرارتهُ فكحرارة الشمس تقريباً تبلغ ٧،٨٠٠ درجة من المقياس المئوي

﴿ استخدام الشمس بدلاً من الفحم ﴾ مرَّ لنا في المشرق (١٦ [١٩١٣]: ١٣٤) ذكر معادي الخيري وادواتهِ المستخدمة حرارة الشمس لاستخراج الماء من النيل وتوزيعهِ على الاطيان وبذلك يوفرون عليهم نفقات الفحم الباهظة . وقد دفع الآن غلاء الفحم الحجري بعض الفرنج في مصر الى استخدام ادوات صغيرة ذات قساطل لولبيَّة يجعلون فيها الماء ويعرضونها لحرارة الشمس مدَّة ثماني او تسع ساعات فتبلغ

حرارة الماء درجة الغليان فيطبخون ما شاؤوا من الاطعمة ويستفيدون من سخونة الماء لبقية اغراضهم

﴿ نقد اسلامي مصوّر ﴾ النقود الاسلامية المصوَّرة قليلة جدًّا ومما وقع في يدنا من ذلك مسكوك من نحاس اتى به من حلب احد تلامذتنا يمثل رأسين متوّجين متجهين الى الامام كُتب فوقهما «لا اله الّا الله» وتحتهما «محمّد رسول الله» وعن يمينهما «المستنجد بالله» وعلى الشمال «امير المؤمنين» ويحدق بالصورتين والكتابات السابقة اطار خفيف. امّا الوجه الثاني فيمثل رأساً امامياً مفردا ذا شعر كثيف يحدق به وقد كُتب في اعلاهُ «نجم الدين» وفي اسفلهِ «ايلي بن ايل غازي» وعلى اليمين «ابن ارتق» وعلى الشمال «ملك دياربكر» فهذا النقد اذن لاحد ملوك دياربكر من الدولة الارتقية وهو نجم الدين ايلي بن تمرتاش بن ايل غازي الذي ملك على ديار بكر وماردين من السنة ٥٤٧ الى ٥٧٢ هـ (١١٥٢ — ١١٧٥م). امّا الصور التي على وجهي المسكوكة فمنقولة عن نقود بوزنطيّة ورومانيّة. وكثيرًا ما تمثل صور السيد المسيح والعذراء مريم او احد القديسين تجدها في نقود السلجوقيين ملوك الروم والارتقيين ملوك دياربكر وماردين وحصن كيفا. وفي نقدنا هذا مثال رأس احد الملوك البوزنطيين مع الملكة قرينتهِ. والصورة التي على الوجه الآخر تمثل صورة ميدوزة (Méduse) احدى الإلهات اليونان. ولايلي المذكور نقد آخر من فضّة على وجههِ صورة العذراء مريم تبارك الملك. وعلى اطرافها «ابو المظفّر ايلي بن تمرتاش بن ايل غازي بن ارتق» (اطلب I. GHALEB EDDHEM : Catalogue des Monnaies Turcomanes, p. 30)

## أسئلة وأجوبة

س سأل جناب جان بك بسترس في اي سنة ضرب الاروام مدينة بيروت

ضرب الاروام مدينة بيروت

حدث ذلك سنة ١٨٢٦ اذ قدم ليلًا ١٣ مركباً من الاروام بازاء البرج المعروف

بابي هدير فخرج منهـا عسكر ونصبوا السلالم شرقيّ بيروت على السور وتقدّمت المراكب الى الميناء وعند الصباح دخل بعض الاروام المدينة واطلقت مراكبهم المدافع عليها الّا ان اهل بيروت هجموا على الاروام الذين دخلوا المدينة وقتلوا قسماً منهم فهرب الباقون الى مراكبهم المبتعدة الى الغنابر ثمّ حاولوا ضرب المدينة فهاج المسلمون على النصارى والقوا كثيرين منهم في الحبس وغرّموهم مالاً وافراً ثمّ نالوا الامان بتوسّط الامير بشير الكبير ( اطلب تاريخ الامير حيدر الشهابي ص ١٠١٦ )

س وسأل احد اطبّاء البلدة في اي سنة أُنشئت مدرسة الطب المصريّة المعروفة بقصر العين مدرسة الطب المصريّة في قصر العين

ج أُنشئت هذه المدرسة في السنة ١٨٢٨ بهمّة الخديوي محمّد علي ومساعي الدكتور الفرنسوي النطاسيّ الشهير انطون كارت بك المولود سنة ١٧٩٣ والمتوفّى سنة ١٨٦٨ . فهذا قدم مصر سنة ١٨٢٥ كطبيب للجيش المصري واهتمّ ببناء مستشفى للجند في قرية ابي زعبل قريباً من القاهرة . واذ وجد نفسهُ محتاجاً الى مساعدين اختار بعض التلامذة وعُني بتخريجهم في ذلك المستشفى وذلك سنة ١٨٢٨ وفي السنة ١٨٣٧ نُقلت المدرسة الطبيّة الى القاهرة فجُعلت في مكان مدرسة علميّة سابقة وعُرفت بمدرسة القصر العيني وخرج منها عدّة اطبّاء امتازوا بعلمهم وعملهم

س وسأل حضرة الخوري جبرئيل زين من جديدة مرجعيون متى جرت عادة التقديس على قربانة مطبوعة

القربانة المطبوعة

ج كانت القربانة في اوّل الكنيسة خبزاً بسيطاً من خمير او فطير يقدّمهُ المؤمنون للكهنة فيقدّسون عليهِ ثمّ اخذوا بعد ذلك يجعلون لخبز القربان هيئةً مدوّرة ويزيدون العناية في تهيئتهِ كما ورد في اعمال القديس ابيفانيوس . اماّ طبع الصور عليهِ فهو ايضاً قديم فقد وجدوا في دياميس رومية ختماً كان يُطبع على القربانة وعليهِ في اليونانيّة ΕΙΚΟΝΑ ΕΥΧΑΡΙΣΤΙΑΣ وقد اختلفت صورة الختم فالكنيسة اليونانيّة تطبع صليباً مربّعاً مع حروف يونانيّة مختصرة I C X C N K اي « يسوع المسيح انتصر » والكنيسة السريانيّة تطبع صلباناً صغيرة متعدّدة على القربانة . اماّ الكنيسة اللاتينيّة فانّها تطبع صورة المصلوب وحدهُ

ل . ش